www.ibtesamah.com/vb

روايات من الشرق والغرب عالمية

مجلة الابتسامة

نهاية محتال

M. Gallet Décédé

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يناير 2019 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

روايات عالمية

العدد رقم ٢٩٣

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

روايات عالمية

مجلة الابتسامة

نهاية محتال

تأليف: جورج سيمنون

ترجمة: محمد عبد المنعم جلال

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

الفصـــل الأول

السخرة

كانت النظرة الأولى من المفتش ميجريه للميت فى اليوم السابع والعشرين من شهر يونية سنة ١٩٣٠ فى ظروف وملابسات عامة مكدرة ليس من السهل نسيانها ، فمنذ أسبوع والبوليس القضائى تأتيه الاشارة تلو الأخرى بأن ملك اسبانيا سيمر بباريس وانه ينبغى اتخاذ الاجراءات اللازمة فى مثل هذه المناسبة .

وكان مدير البوليس القضائى فى براغ لحضور مؤتمر علمى للبوليس على حين استدعى وكيل البوليس الى قصره على الشاطىء النورماندى بسبب مرض ألم بأحد أولاده .

وكان ميجريه أقدم المفتشين فكان لزاما عليه أن يهتم بكل شىء وزاد الطين بلة أن الجو كان ساخنا خانقا ومعظم الموظفين يقومون بأجازاتهم .

زد على ذلك انهم فى صباح اليوم السابع والعشرين عثروا على بائعة « خردوات » بشارع بكبوس مقتولة فى محلها .

صفوة القول ، كان جميع المفتشين قد ذهبوا فى الساعة التاسعة صباحا الى محطة وادى بولونى حيث ينتظرون قدوم ملك اسبانيا .

www.ibtesamah.com/vb

وكان ميجريه قد فتح جميع الأبواب والنوافذ التى راحت تصطفق تحت تأثير التيارات الهوائية وأخذت الأوراق تطير من فوق المكاتب .

وفى الساعة التاسعة وبضع دقائق جاءت برقية من نيفر هذا نصها :

« قتل اميل جاليه الوسيط التجارى والمقيم بسان فارجو فى ليلة ٢٥ـ٢٦ بفندق لالوار بمدينة سانسر . تفاصيل كثيرة غريبة . رجاء اخطار عائلته للتعرف على الجثة وارسال مفتش من باريس ان أمكن » .

ولم يجد ميجريه بدا من أن يذهب هو نفسه الى سان فارجو التى لم يكن يعلم انها تقع على بعد خمسة وثلاثين كيلو متر من باريس .

ولم يكن يعرف مواعيد القطارات ، وعندما بلغ محطة ليون قيل له أن أحد قطارات الركاب سينطلق بعد لحظة فاخذ يجرى واستطاع أن يقفز فى آخر عربة .

وكان هذا وحده كافيا لكى يجعله يتصبب عرقا . وقضى طول الرحلة وهو يسترد أنفاسه ويجفف عرقه لأنه كان بدينا .

وفى سان فارجو كان هو المسافر الوحيد الذى غادر القطار واضطر أن يضرب على غير هدى فوق «رصيف» المحطة اللين قبل أن يجد موظفا يستعلم منه عن الطريق .

ـ مسيو جاليه ؟.. فى آخر الممر الرئيسى للتقسيم .. هناك لحاسة على « الفيللا » مكتوب عليها « فيللا المارجريت » .. وعلى كل حال فهو البيت الوحيد الذى تم بناؤه فى الناحية .

وخلع ميجريه « جاكتته » ووضع منديلا تحت قبعته ليحمى قفاه من أشعة الشمس الحارقة لأن الممر الرئيسى كان عرضه مائتى متر ولم يكن مظروقا الا من وسطه حيث لا مكان يستظل به .

وكانت الشمس ذات لون نحاسى حزين والذباب يلسع فى اهتياج مما ينذر بقرب هبوب عاصفة .

www.ibtesamah.com/vb

وكان الطريق مقفرا الا منه .

ولم يكن التقسيم الا عبـــارة عن غابة كان يبدو انها ضمن املاك أحد الامراء ، اكتفى المخططون بأن خططوا عليهـــا شبكة من الممرات الهندسية واقاموا فوقها أسلاكا كهربية اتغذى«الفيللات» المتوقعة بالنور .

وامام المحطة اقيم ميدان في وسطه « فسقية » من المزايكو ونافورة ، وعلى كشـــك من الخشب لافتـــة عليها هذه الـــكلمات « مكتب بيع الاراضى » وعلى جانب من الـــكشك علق رسم تظهر فيه الممرات المقفرة باسماء بعض الرجال السياسيين والقادة .

وكان ميجريه يرفع منـــديله كل نحو خمســـين مترا فيجفف عرقه ثم يعيده فوق قفاه الذى بدأ لونه يحمر .

وهنا وهناك كانت تطالعه مبـــان لم يتم بناؤها بعد وجدران اضطر البناءون أن يتركوها بسبب الحر .

وبلغ « فيللا » المارجريت اخـــيرا ، وكانت تقع على بعد كيلو مترين على الاقل من المحطة . وكانت مبنية على نمط غريب اشبه بالنمط الانجليزى . من الطوب الاحمر بشـــكل هنـــدسى معقد ولها سور ريفى يفصل الحـــديقة عن بقيـــة الارض التى كانت فى يوم من الايام غابة .

ومن نوافذ الدور الارضى راى سريرا عليـــه « مرتبة » مطوية طيتين على حين عرضت الملاءات للتهوية فوق « افريز » النافذة .

ودق الجرس فاقبلت خادمة فى الثلاثين بها حول نظرت اليها فى بادىء الامر من خلال فتحة من الباب ، وبينما كانت تفتح الباب ارتدى ميجريه « جاكتته » .

ـ مدام جاليه من فضلك .

ـ من اقول لها ؟.

ولكن صوتا بالداخل صاح بها متسائلا !

ـ ما الخبر ياأوجينى ؟.

www.ibtesamah.com/vb

وظهرت مدام جاليه فوق « البسطة » وانتظرت توضيحات المتطفل رافعة ذقنها الى أعلى . وقالت فى غلظة عندما رأته يرفع قبعته ناسيا المنديل الذى وقع على الأرض :

ـ لقد سقط منك شيء .

والتقط المنديل وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة وقدم نفسه قائلا :

ـ المفتش ميجريه ، من البوليس القضائى .. اريد أن أقول لك بضع كلمات ياسيدتى .

ـ لى أنا ؟.

وتحولت الى الخادمة وصرخت فيها قائلة :

ـ وأنت ماذا تنتظرين ؟.

وكون ميجريه له رأيا عن مدام جاليه على الفور . كانت امرأة فى الخمسين من العمر سمجة ، وعلى الرغم من الوقت غير المناسب ومن الحر الخانق وعزلة « الفيللا » فقد كانت ترتدى ثوبا من الحرير البنفسجى وشعرها مصفوف فى انتظام ، تغطى عنقها وصدرها ويديها بحلى من الذهب البراق .

وتقدمت الزائر فى أسف باد نحو الصالون ، ومرا بباب مردود القى ميجريه نظرة من خلاله فرأى مطبخا أبيض تلمع فيه آنية من النحاس والألمنيوم .

وقالت الخادمة :

ـ هل أستطيع أن أبدأ بدهان الأرض ياسيدتى ؟.

ـ بالطبع .. ولم لا ؟ .

واختفت الخادمة فى غرفة الطعام المجاوره ولم يلبث ميجريه ان سمعها بعد قليل تفرش الأرض بالشمع وهى جاثية على ركبتيها على حين رائحة « التربنتين » النفاذة تملأ البيت .

وكانت جميع قطع « الموبيليا » بالصالون تغطيها مفارش مطرزة بالبرودرى ، وعلى الحائط صورة مكبرة لفتى طويل القامة نحيف الجسم بارز عظمتى الركبتين سمج الوجه يرتدى ثياب

www.ibtesamah.com/vb

القربان الأولّ . وفوق المعزف صورة عادية لرجلّ غزير الشعر ذى لحية صغيرة وخطها المشيب يرتدى جاكتة رديئة التفصيل له وجه بيضاوى قريب الشبه الى وجه الفتى صاحب الصورة الكبرى . وثمة شيء آخر تراه العين . قضى ميجريه بضع لحظات قبلّ ان يدرك كنهه . ولم يكن هذا الشيء غير شفتى الرجلّ فهما شفتان رقيعتان بشكل ملحوظ يخيل لمن يراهما أنهما تكادان تشطران وجه صاحبهما شطرين .

ـ زوجكَ ؟.

ـ نعم . زوجى . والآن هلّ لكَ أن تقولّ لى ماذا يريدالبوليس منـــا ؟.

وفى اثناء الحديث الذى دار بينهما بعد ذلك اضطر ميجريه أن يرفع بصره مرارا نحو الصورة .. وكانت هذه هى أول مرة يرى فيها الميت .

ـ عندى نبأ سيىء لك ياسيدتى . ان زوجك فى رحلة . أليس كذلك ؟.

ـ هو فى رحلة .. تكلم .. هلّ ...

ـ لقد وقع له حادث ، نعم .. ليس حادثا بمعنى الكلمة .. أرجو أن تتقبلى الأمر بكل شجاعة .

وقفت مستقيمة أمامه واضعة يدها على صوان فوقه تمثال من البرونز . كان وجهها قاسى القسمات متشككا ولم يكن هناك مايدل على انفعالها غير أصابعها المكتنزة التى راحت تتحرك فى عصبية . ولم يدر ميجريه لماذا خطر له فى هذه اللحظة أنها كانت نحيفة ولعلها كانت نحيفة جدا فى اثناء النصف الأول من حياتها .

ـ لقد قتلّ زوجك بمدينة سانسر فى ليلة ٢٥ـ٢٦ .. وكلفت بأن أنهى اليك هذا النبأ البغيض .

ونظر المفتش الى الصورة وقال وهو يشير الى صورة الفتى

ـ هلّ لك ابن ؟.

www.ibtesamah.com/vb

وبدا أن مدام جاليه كانت توشك أن تفقد ذلك التوتر الذى كانت ترى أنه لابد منه للاحتفاظ بوقارها .. وقالت بطرف شفتيها :

ـ نعم .. ابن .

ثم عادت تقول فى لهجة المنتصر :

ـ تقول مدينة سانسير ؟ أليس كذلك ؟ . واليوم هو السابع والعشرون ؟ فى هذه الحالة أنت مخطىء .. انتظر .

وأسرعت الى غرفة الطعام حيث رأى ميجريه الخادم على أربع . وعندما عادت ناولته بطاقة بريدية قائلة :

ـ هذه البطاقة ارسلها لى زوجى .. وهى تحمل تاريخ ٢٦ أى أمس .. وعليها خاتم بريد مدينة روين .

وبدا كأنها تكبح بشق النفس ابتسامة تظهر ابتهاجا بتحقير البوليس الذى تطفل بدخول بيتها . وقالت :

ـ لاريب أنه جاليه آخر على الرغم من أن هذا الاسم غير شائع .

ونظرت الى الباب نظرة ذات مغزى . ولولا وقارها لأسرعت وفتحته على مصراعيه . ولكن ميجريه لم يعر ذلك اهتماما وقال :

ـ ان اسم زوجك الأول هو أميل ، أليس كذلك ؟.. والثابت من بطاقته الشخصية أنه وسيط تجارى ؟.

ـ انه وكيل محل نيل وشركاه . عن مقاطعة نورماندیا كلها .

ـ أخشى ياسيدتى أنك تسرعت باظهار ابتهاجك ، وأرانى مضطرا أن أطلب منك مرافقتى الى سانسير .

ـ ولكن ما دمت ...

وهزت البطاقة التى فى يدها والتى تمثل صورة السوق القديم لمدينة روين .

ولم تكن قد اغلقت باب غرفة الطعام فظهرت الخادمة وهى تقوم بتلميع الأرض بخرقة كبيرة .

www.ibtesamah.com/vb

ـ صدقيني ياسيدتي أنني أتمنى من كل قلبي أن يكون هناك خطأ كما تقولين . ولكن الأوراق التي عثروا عليها في جيوب القتيل هي أوراق زوجك .

ـ لعلها سرقت منه .

ومع ذلك فقد بدأ صوتها يشوبه القلق على الرغم منها .. واذ رأت ميجريه ينظر الى صورة زوجها مرة أخرى قالت :

ـ هذه الصورة التقطت له عندما كان يتبع نظاما خاصا في الأكل و ..

وقاطعها المفتش قائلا :

ـ اذا كنت تريدين تناول طعام الغداء أولا فسوف أعود بعد ساعة ..

ـ لا ، اذا كنت تظن .. أنه ينبغي .. أوجيني .. احضري معطفي الحريري الأسود وحقيبتي وقفازي .

* * *

لم تكن هناك مصلحة لميجريه في هذه القضية التي تجمعت لها كل مميزات القضايا البغيضة واذا كان قد احتفظ في ذهنه بصورة الرجل ذي اللحية ـ الذي كان يتبع نظاما خاصا ـ وصورة الفتى الذي يرتدي ثياب القربان الأول فقد كان ذلك بدون وعي منه .

كل هذه الاجراءات كانت تتسم بطابع السخرة .. واضطر أن يقطع الممر الرئيسي في ذلك الجو الخانق من غير أن يتمكن من أن يخلع « جاكتته » ثم ينتظر خمسا وثلاثين دقيقة في محطة ليون حيث اشترى بعضا من الشطائر والفاكهة وزجاجة من النبيذ .

وفي الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم كان يجلس أمام مدام جالية في مقصورة بالدرجة الأولى وكان القطار ينطلق بهما الى سانسر في طريقه الى مولان .

وكانت الستائر مسدلة والنوافذ مفتوحة ولكن الهواء كان ثقيلا خانقا الا من نسمة كانت تهب من وقت لآخر فترطب المكان .

www.ibtesamah.com/vb

واخرج ميجريه غليونه من جيبه ثم نظر الى وقيقته وعدل عن التدخين فى حضرتها .

وكانت قد مرت ساعة على انطلاق القطار عندما لبست لبوس البشر وسألته قائلة :

ـ كيف تفسر هذا ؟.

ـ حتى هذه اللحظة لا أستطيع تفسير شىء ياسيدتى ، فانا لا أعلم شيئا أكثر من ان جريمة وقعت فى فندق لالوار فى ليلة ٢٥ـ٢٦ .

« ونحن نمر الآن بفترة الاجازات ، ثم ان نيابات القرى لاتبدئ اى عجلة فى مثل هذه الأمور بحيث ان البوليس القضائى لم يعلم بنبأ هذه الجريمة الاصباح اليوم فقط .

ـ هل كان من عادة زوجك أن يرسل اليك بطاقات بريدية ؟ .

ـ فى كل مرة يكون متغيبا فيها .

ـ وهل كان يسافر كثيرا ؟.

ـ ثلاثة أسابيع كل شهر تقريبا .. كان ينتقل الى روين وينزل فى فندق لابوست وذلك منذ عشرين عاما .. ومن هناك كان يتنقل فى جميع انحاء نورماندیا مدبرا أمره بحيث يعود الى روين فى المساء كلما أمكنه ذلك .

ـ لك ولد واحد ؟ .

ـ نعم .. ولد واحد يشتغل فى مصرف بباريس .

ـ الا يقيم معك فى سان فارجو ؟.

ـ ان سان فارجو تبعد عن باريس كثيرا ولذلك فهو يقضى ايام الآحاد معنا .

ـ هل أستطيع ان انصحك بأن تأكلى شيئا ؟.

فقالت فى ترفع :

ـ شكرا .

والحق انه لم يستطع ان يتصورها تقضم شطيرة وتجرع البيرة فى كأس من الورق المقوى كما تفعل غيرها من النساء ، فقد بدا له أن كلمة وقار لها معنى كبير بالنسبة لها .. وهى لم تكن جميلة

www.ibtesamah.com/vb

قط ، ولكنها كانت عادية الملامح ولو أنها كانت في ظرف آخر لبدت أكثر فتنة بفضل ماتتسم به سحنتها وما يبدو في طريقتها بامالة رأسها جانبا .

ـ ولماذا يقتلون زوجي ؟.

ـ ألا تعرفين له أعداء ؟.

ـ لا أعداء ولا أصدقاء فنحن نعيش في عزلة عن الناس شأن الذين عرفوا عصرا غير ذلك العصر الوحشي المبتذل الذي جاء في أعقاب الحرب .

ـ آه !..

كانت الرحلة طويلة . وخرج ميجريه مرتين أو ثلاثا ليأخذ بضعة أنفاس من غليونه . وكانت ياقة قميصه قد ابتلت من تأثير الحر وعرقه المتزايد وراح يحسد مدام جاليه التي لم تلحظ حرارة الجو والتي احتفظت بجلستها منذ بدء الرحلة تماما كما لو كانت استقلت الاوتوبيس لرحلة قصيرة ، وحقيبتها فوق ركبتيها ويداها فوق الحقيبة ورأسها مائل قليلا نحو الباب .

ـ كيف ... كيف قتل هذا الرجل ؟.

ـ لم تشر البرقية الى ذلك .. كل الذي أعرفه أنهم عثروا عليه قتيلا في ذلك الصباح .

هزت مدام جاليه كتفيها وسكتت هنيهة فاغرة الفم تحاول أن تأخذ نفسها ... وأخيرا قالت :

ـ لايمكن أن يكون زوجي .. وهذه البطاقة دليل . أليس كذلك ماكان ينبغي أن أتجشم مشقة الانتقال .

ندم ميجريه لأنه لم يأخذ معه صورة مسيو جاليه التي فوق المعزف وان لم يدر سبب هذا الندم . ولعل مرجعه أنه تعذر عليه ان يستعيد في ذهنه أعلى الوجه . وعلى عكس ذلك كان يتذكر جيدا وبوضوح تام الفم الطويل الرفيع واللحية القصيرة الغزيرة والكتفين غير المتساويتين .

وكانت الساعة قد بلغت السابعة عندما وقف القطار في محطة تراسي بسانسير . ولكنهما اضطرا أن يقطعا كيلو متر في الطريق

www.ibtesamah.com/vb

الرئيسى وان يجتازا الجسر الذى يمر فوق نهر اللوار . وكان النهر فى هذه الناحية عبارة عن جداول كثيرة من المياه الجارية بين كثبان من الرمل بلون القمح .

وفوق احد هذه الكثبان وقف رجل يرتدى حلة من الكتان الصينى وراح يصطاد « بالسنارة » وظهر فندق لالوار ذو اللون الأصفر وهو قائم على طول « الرصيف » .

وكانت أشعة الشمس مائلة . ولكن الهواء المشبع ببخار الماء كان ثقيلا غير قابل للتنفس .

وجعلت مدام جاليه تسير فى المقدمة . وكان على مقربة من الفندق رجل يسير جيئة وذهابا ولم يكن هناك شك فى انه من رجال البوليس وتجهمت أسارير ميجريه .

وكان المكان يزخر بأناس يقضون اجازاتهم ولا سيما الأسر التى تجلس تحت مظلات ويقوم بخدمتهم الساقون بثيابهم وقبعاتهم البيضاء .

ورات مدام جاليه اللافتة التى عليها اسم الفندق تحيط بها شعارات مختلف الأندية فاتجهت قدما الى الباب . وتصدى الرجل الذى يسير جيئة وذهابا امام الفندق لميجريه وسأله :

ـ هل انت من البوليس القضائى ؟

ـ أجل .

ـ ان الجثة نقلت الى دار الحكومة فاسرع لأن التشريح سيبدأ فى الساعة الثامنة اى بعد دقائق .

* * *

دقائق معدودات يتعرف بعدها بالميت . كان ميجريه فى هذه اللحظات يسير ويتصرف كما لو كان يقوم بمهمة بغيضة عسيرة ليس فيها اى سحر أو فتنة .

وقد وجد فسحة من الوقت فيما بعد نظر فيها بالتفصيل نظرة ثانية للميت ولم يعقبها غيرها بعد .

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

وفى مواجهة مقر العمودية كان هناك أناس يجلسون فى شرفة مقهى تحت مظلات من القماش المخطط باللونين الأحمر والأصفر وأمامهم كئوس البيرة الطازجة والنبيذ والجرائد القادمة من باريس .

وكانت تقف فى وسط الميدان ثلاث سيارات وممرضة تسير فى طريقها الى الصيدلية . وفى مقر العمودية راحت امرأة تغسل بلاط الفناء بالماء والصابون .

وسألها ميجريه :

ـ من فضلك .. اين الجثة ؟.

ـ خلف هذا الفناء .. فى ساحة المدرسة . يمكنكما أن تمرا من هنا .

واشارت الى باب كتب فوقه بالخط الكبير « البنات » وكان فى مواجهته باب آخر كتب فوقه بالخط الكبير ايضا « البنين ».

وتقدمت مدام جاليه المفتش فى اطمئنان واعتداد غير متوقعين فى مثل هذه المناسبة . ومع ذلك فقد خيل لميجريه أنها انما تسير هكذا يدفعها نوع من الدوار .

وفى فناء المدرسة ابصر المفتش طبيبا « بسترته » البيضاء ، يدخن سيجارة وهو يتمشى جيئة وذهابا كمن ينتظر شيئا ما .. وكان يدعك يديه من وقت لآخر .

وابصر رجلين آخرين يتحدثان فى صوت خافت على مقربة من «طاولة» تمددت فوقها جثة تحت ملاءة بيضاء .

وحاول المفتش أن يتصدى لزميلته المندفعة ولكن لم تتسح له الفرصة . فقد اجتازت الساحة وبلغت الطاولة حيث تسمرت لحظة مبهورة الأنفاس ثم رفعت الملاءة عن الوجه فجأة فى تحد ظاهر .

ولم تصرخ ، وتحول الرجلان ـ اللذان كانا يتبادلان الحديث فى صوت خافت ـ اليها فى دهشة . وكان الطبيب يضع مفازيه فى يديه فى هذه اللحظة ، وهو يصيح امام أحد الأبواب :

ـ الم تات الآنسة انجيل بعد ؟.

www.ibtesamah.com/vb

وبينما كان يخلع أحد قفازيه ليشعل سيجارة جديدة بقيت مدام جاليه جامدة بلا حراك متوترة الأعصاب ووقف ميجريه بجوارها متأهبا لنجدتها عند الضرورة .

وتحولت اليه فجأة بوجه حقود وصاحت :

ـ كيف حدث هذا ؟.. من الذى جرؤ ؟.

ـ تعالى ياسيدتى .. هو زوجك .. أليس كذلك ؟.

وراحت عيناها تدوران فى أرجاء الساحة فتنظر الى الرجلين ثم الى الطبيب « بسترته » البيضاء ثم الى الممرضة التى أقبلت وهى تتهادى ، وأخذت تقول فى صوت أجش :

ـ ماذا سيفعلون ؟.

واذ رات ميجريه يتردد فى الرد فى شىء من الارتباك ارتمت على جثة زوجها وشملت الساحة والواقفين بها بنظرة غضب وتحد وصاحت :

ـ انا لاأريد .. أنا لا أريد ..

واضطروا الى حملها بالقوة فعهدوا بها الى المرأة التى كانت تغسل البلاط وعندما عاد ميجريه الى الساحة كان الطبيب يمسك بيده مشرطا وقد وضع على وجهه قناعا على حين الممرضة تناوله قنينة صغيرة .

وبغير ارادة منه اصطدمت قدم المفتش بقبعة صغيرة من الحرير الأسود تزينها عقدة بنفسجية وسلسلة من حجر الماس الزائف .

* * *

لم يشهد ميجريه عملية التشريح فقد اوشك النهار ان يولى وقال الطبيب :

ـ عندى سبعة مدعوين الليلة على العشاء .

أما الرجلان اللذان كانا يتبادلان الحديث فهما قاضى التحقيق وكاتبه . وشد القاضى على يد المفتش ثم قال له فى ايجاز :

ـ سوف ترى رجال البوليس المحليين فهم الذين بدءوا التحقيق .. هذه قضية معقدة شديدة الغموض .

وكانت الجثة عارية تحت الملاءة التى رفعتها الممرضة .

ولم تدم المواجهة أكثر من لحظات . كانت الجثة مطابقة للصورة التى رسمها فى ذهنه بناء على الصورة الفوتوغرافية التى رآها

www.ibtesamah.com/vb

فوق المعزف .. جثة طويلة بارزة العظام جوفاء الصدر شان الموظفين الكتابيين ، ذات بشرة صفراء يتخللها شعر داكن وان كان شعر الصدر يضرب الى الأحمرار .

وكان نصف وجهه سليما أما النصف الآخر وهو النصف الأيسر فقد أطاحت بمعالمه طلقة نارية .

وكانت عيناه مفتوحتين ولا يكاد الناظر اليهما يجد فرقا يذكر بين حدقتيهما السوداوين وحدقتى الصورة .

كان يتبع نظاما خاصا .. هكذا قالت مدام جاليه .

وتحت الثدى الأيسر ظهر جرح مستقيم يدل مظهره على انه اثر نصل حاد .

وتململ الطبيب خلف ميجريه فى فروغ صبر وسأل :

ـ هل ينبغى ان أرسل التقرير اليك ؟. ماهو العنوان ؟.

ـ فندق لالوار .

وكان القاضى وكاتبه ينظران الى ناحية اخرى فى صمت . وأراد ميجريه ان يخرج ولكنه أخطأ فدخل بابا آخر ووجد نفسه فى أحد فصول المدرسة بين المقاعد .

كان الجو فى الفصل رطبا ووقف المفتش لحظة ينظر الى الصور الملونة المعلقة والتى تمثل « الحصاد » و « المزرعة فى الشتاء » و « يوم فى السوق » . وعلى أحد الرفوف رصت مجموعات من الموازين والمكاييل مصنوعة من الخشب والقصدير والحديد كل بحسب احجامها .

وجفف المفتش عرقه . وبينما كان يجتاز العتبة التقى بمفتش بوليس نيفر ، وكان يبحث عنه .

ـ حسنا .. أنت حضرت أخيرا .. أستطيع الآن ان الحق بزوجتى بجرينوبل .. تصور اننى كنت اتأهب للقيام بأجازتى صباح أمس عندما أبلغونى الجريمة ! .

ـ هل كشفت شيئا ؟.

ـ لا .. سوف ترى انت نفسك انها قضية غريبة شديدة الغموض .. اذا شئت ان نتناول العشاء معا فسوف أذكر لك كل التفاصيل ان كان يمكن ان نسمى ماوصلنا اليه بتفاصيل .. لم

www.ibtesamah.com/vb

يسرق منه شيء .. ولم ير أحد شيئا وكذلك لم يسمع أحد شيئا ومن يقل لنا لماذا قتل مسيو جاليه هذا فهو رجل ذكى حقا .. ثمة شيء آخر يدعو الى الغرابة الا أنه مع ذلك لن يقودنا الى شيء .. ذلك انه عندما كان ينزل في فندق لالوار ، وكان هذا يحدث مرارا .. كان يفعل ذلك تحت اسم مسيو كليمان من ذوى الأملاك بأورليان.

وقال ميجريه :

ـ هلم بنا نتناول مشروبا .

وتذكر جو الشرفة المغرى وروادها الجالسين تحت المظلات امام كئوس البيرة والنبيذ .. تلك الشرفة التى ود وهو يمر بها لو يلجأ اليها من حر اليوم الخانق . ومع ذلك فعندما ألفى نفسه جالسا بها أمام كأس من البيرة لم يشعر بالراحة التى كان يتوق اليها .

وقال مفتش نيفر :

ـ ان التحقيق لم يسفر عن شيء .. لم نجد ولو قشة واحدة نتعلق بها .. ولا أى شيء يخرج عن المألوف اللهم الا ان ذلك الرجل قد قتل .

وراح يتحدث على هذا النمط مدة طويلة دون أن يدرى أن المفتش لايصغى اليه .

وهناك أشخاص لايلتقى بهم المرء الا مرة واحدة عابرة فى الشارع ومع ذلك تبقى ذكراهم عالقة بالذهن لا تغيب .. ولم ير ميجريه أميل جاليه الافى صورة فوتوغرافية ثم رآه بعد ذلك جثة مصفرة وقد ضاع نصف وجهه ومع ذلك فقد كانت الصورة هى التى رسخت أكثر فى ذهنه . وقد راح يحاول أن يبعث فيها الحياة وأن يتصور مسيو جاليه وجها لوجه مع زوجته فى غرفة الطعام بسان فارجو .. أو خارجا من « فيللته » ليستقل القطار من المحطة .

وفى ومضات سريعة .. كان اعلى الوجه يزداد وضوحا ، وخيل لميجريه انه يرى جيوبا تحت جفنيه ففمغم يقول فى صوت خافت :

ـ أراهن انه كان مريضا بالكبد .

فقال مفتش نيفر فى امتعاض :

ـ انه على كل حال لم يمت متأثرا من مرض الكبد .. فان مرض الكبد لايطيح بنصف الوجه ولا يعقب القلب .

www.ibtesamah.com/vb

الفصـــل الثانى

ذوالنظارة

لم تبق غير جماعتين أو ثلاث حول الموائد . ومن خلال نوافذ الغرف بالدور الأول تناهت الى الرجلين احتجاجات الأطفال الذين يريد أهاليهم ارغامهم على النوم قسراً .. وسمع ميجريه صوت امرأة تقول :

ـ هل رأيت ذلك الرجل البدين ؟ انه من رجال البوليس فاذا لم تلزم الهدوء فسوف يقتادك الى السجن .

وبينما كان يتناول طعامه وهو يلقى حوله نظرات فاحصـــة سمع طنينا متتابعا .. ولم يكن ذلك الطنين غير المفتش جرنييه الذى طفق يتكلم لالشىء الا حبا فى الكلام .

ـ آه .. لو انهم سرقوا منه شيئا مالبثت المسألة من البساطة بمكان .. اليوم يوم الاثنين .. وقد ارتكبت الجريمة فى ليلة الأحد وكان الأهالى يحتفلون بالعيد .. وفى مثل هذه الليالى تزخر المدينة بالأغراب الذين يفدون من كل فج وصوب ، هـــذا فضـــلا عن «المهرجين» ورجال الملاهى ، ومن عادتى أن ارتاب فى هؤلاء الآخرين فأنت لاتعرف الريف كما اعرفه أنا أيها القوميسير .. اننا نلتقى

www.ibtesamah.com/vb

فيه أحيانا بأناس أشد سوءا من الرعاع الذين تزخر بهم أحياء باريس السفلى .

وقاطعه ميجريه قائلا :

ـ صفوة القول انه لولا العيد لكشفت الجريمة قبل ذلك .

ـ ماذا تعني ؟.

ـ لم يسمع أحد صوت الرصاص وذلك بسبب البارود والصواريخ .. ألم تقل لى ان جاليه لم يمت من تأثير الجرح الذى أصيب به فى رأسه ؟.

ـ ان الطبيب الشرعى يدعى ذلك . وسوف يؤكد التشريح هذه النظرية . لقد أصيب الرجل برصاصة فى رأسه . ولكن كان يبدو انه كان فى مقدوره أن يعيش ساعتين او ثلاثا بعد ذلك لولا أن اصابته على الفور طعنة خنجر فى قلبه فمات توا .. وقد عثرنا على الخنجر .

ـ والمسدس ؟.

ـ بحثنا عنه عبثا .

ـ وهل كان الخنجر فى الغرفة ؟.

ـ على بعد بضعة سنتيمترات من الجثة . وهناك « كدمات » على قبضة جاليه اليسرى . ولا ريب انه بعد أن أصابته الرصاصة شهر الخنجر وأسرع للاقاة غريمه .. ولكن جرحه كان قد أضعفه فتمكن القاتل من أن يلوى يده ويحولها فيغرز النصل فى صدره .

ليس هذا رايى انا فحسب ولكنه راى الطبيب الشرعى كذلك .

ـ اذن لولا العيد ما مات جاليه بالتأكيد .

لم يحاول ميجريه أن يطلق العنان لخياله وراء استنتاجات بارعة ولا أن يثير دهشة زميله القروى .. كانت هذه الفكرة تلازمه وتلح عليه فتتبعها فى فضول ليرى ماقد يتفتق عنها .

لولا صخب الملاهى وضوضاء الجياد الخشبية وصوت البارود والصواريخ لسمع الجميع الطلقة النارية ولأسرع نزلاء الفندق الى جاليه ، ولعلهم كانوا يتمكنون من التدخل قبل أن تصيبه طعنة الخنجر .

www.ibtesamah.com/vb

وجن على العالم الليل ولم يعد المرء يرى غير انعكاس ضوء القمر على النهر والمصباحين القائمين في كل ناحية من الجسر .. وبداخل المقهى كان بعض النزلاء مازالوا يلعبون البلياردو .

واختتم المفتش جرينيه حديثه قائلا :

ـ هذه قضية غريبة .. اننا أوشكنا على الساعة الحادية عشرة أليس كذلك ؟. ان قطارى يقوم فى الحادية عشرة واثنتين وثلاثين دقيقة والطريق من هنا الى المحطة سوف يستغرق ربع ساعة .. كنت أقول لو أن القاتل سرق شيئا ما ..

ـ فى اى ساعة تغلق الملاهى أبوابها ؟.

ـ فى منتصف الليل .. كما تقضى النظم واللوائح بذلك .

ـ اذن فقد تمت الجريمة قبل منتصف الليل وقبل ان يأوى جميع النزلاء الى غرفهم .

كان كل من الرجلين يتتبع مجرى أفكاره . واستمر الحديث على هذا النحو . وعاد المفتش جرينيه يقول :

ـ والغريب فى الأمر انه كان يطلق على نفسه اسم مسيو كليمان .. ولا ريب أن صاحب الفندق أخبرك بذلك فقد كان يأتى من وقت الى آخر كل ستة شهور تقريبا . وقد نزل بالفندق أول مرة منذ عشر سنوات تحت اسم كليمان ، من ذوى الأملاك باورليان

ـ ألم تكن معه حقيبة كتلك التى يستعملها الوكلاء التجاريون؟

ـ لم الحظ شيئا من ذلك .. ولكن ، سوف يخبرك صاحب الفندق هو نفسه .. مسيو تاردنيون .. تعال لحظة .. هذا هو القوميسير ميجريه من باريس وهو يريد أن يلقى عليك سؤالا .. أكان مع مسيو كليمان ، عندما نزل بالفندق حقيبة من تلك الحقائب التى يستخدمها الوكلاء التجاريون ؟.

وقال القوميسير بلهجة التحديد :

ـ تحتوى على أدوات معدنية ؟.

ـ لا .. كان يأتى ومعه دائما حقيبة صغيرة لاتضم غير ثياب لأنه كان كثير العناية بنفسه .. اننى لم أره مرتين متتابعتين مرتديا الصدير فقط .. كان اغلب الاوقات يلبس « سترة » سوداء قاتمة أو رمادية اللون .

www.ibtesamah.com/vb

ـ شكرا لك .

وعاد الفكر بميجريه الى شركة نيل التى كان مسيو جاليه يعمل وكيلا عنها لمقاطعة نورماندیا .. وكانت هذه الشركة متخصصة فى صنع الأدوات المعدنية للهدايا كاللعب والأقداح والكئوس وسلال الفاكهة وأكواب الشاى واطباق الحلوى وكلها مصنوعة من المعدن المطلى بالفضة .

وازدرد قطعة الجاتو الصغيرة التى أحضرتها اليه الخادمة ثم حشا غليونه وسأله مسيو تاردينون قائلا :

ـ الك فى كأس من الخمر ؟.

ـ لابأس .

واسرع صاحب الفندق فأتى بالزجاجة وجلس الى مائدة الرجلين قائلا :

ـ اذن فأنت القوميسير الذى سيقوم بالتحقيق ؟ يالها من جريمة .. ولا يقع هذا الا فى بداية الموسم .. ولى انا ؟.. لقد غادر هذا الفندق هذا الصباح سبعة من النزلاء وانتقلوا الى فندق لاكومرس بسبب هذه الجريمة . نخب صحتكما ايها السيدان .. أما بخصوص مسيو كليمان الذى اعتدت أن أدعوه بهذا الاسم فمهما يكن فمن الذى كان يشك فى أن هذا الاسم ليس اسمه الحقيقى .

وخلت الشرفة من الناس تقريبا وأخذ أحد العمال ينقل الصناديق الصغيرة التى زرعت فيها الأشجار التى تحيط بالمناضد الى داخل الفندق . ومر قطار بضاعة بالشاطىء الآخر فى هذه اللحظة وتبع الرجال الثلاثة انواره الحمراء التى راحت تبتعد تحت سفح الربوة .

وكان مسيو تارويفون قد بدأ حياته ظباطا فى احد القصور الكبرى وقد ظل محتفظا حتى ذلك الوقت بتلك المهابة التى اضفتها عليه وظيفته تلك وانحنى فوق محدثه وقال وهو يدفىء كأسه فى راحتيه .

ـ واغرب مافى الأمر انه لولا المصادفة ما وقعت الجريمة .

فأسرع جرينيه يقول وهو يشير بعينيه الى القوميسير :

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل تعنى الصيد والملاهى ؟.

ـ لا أدرى ما الذى تعنيه .. لا . ان مسيو كليمان عندما أقل صباح السبت أعطيته الغرفة الزرقاء التى تطل على طريق العشب كما نسميه .. وهو الطريق الذى تراه الى اليسار .. وندعوه بهذا الاسم لأننا لانستخدمه منذ وقت طويل فاعشوشبت الأرض وامتلأت بالكلأ .

فسأله ميجريه :

ـ ولماذا لاتستخدمونه ؟.

ـ هل ترى هذا الحائط الذى يقوم مباشرة بعد الطريق .. انه سور « فيللا » مسيو دى سان هيلير .. وأهالى البلد يشيرون اليها باسم القصر الصغير ليميزوها عن القصر الكبير .. قصر سانسر القديم القائم فى أول الشاطىء ، وهو بيت عتيق يمكننا أن نرى أبراجه ونحن وقوف هنا .. وبه حديقة جميلة كانت تمتد حتى مكاننا هذا فيما سبق . قبل أن يقوم فندق لالوار فى هذا المكان. وكان الباب الحديدى الواقع فى آخر ممر العشب هو الباب العمومى « للفيللا » ولكنهم أغلقوه وأقاموا بدلا عنه بابا آخر على « الرصيف » على بعد خمسمائة متر ، وصفوة القول ، أعطيت مسيو كليمان الغرفة الزرقاء وتطل نوافذها على هذه الناحية والمكان هادىء ولا يمر به أحد ثم أن الطريق لايؤدى الى أى مكان ، « ولا أدرى لماذا جاءنى عند عودته بعد الظهر وسألنى

ـ ألم يكن لديك غرفة أخرى تطل على الفناء ؟.

« ولم يكن لدى أية غرفة خالية .. وربما كان فى مقدورى أن أعطيه غرفة أخرى لو أننا كنا فى الشتاء لأنه لايأتينى عندئذ الا المعتادون من الوكلاء التجاريين الذين يتنقلون فى أوقات معينة ولكن فى الصيف . انى لأكاد أعتقد أن اهالى باريس كلها يأتون للاصطياف فى فندقى .. والحق أنه لاشىء يعادل هواء نهر اللوار . وبناء على ذلك أجبت مسيو كليمان بأنه يتعذر على اجابة طلبه وذكرت له أن الغرفة التى يشغلها هى أحسن غرف الفندق كله فالفناء مشحون بالدجاج والاوز ، هذا فضلا عن أنهم يسحبون الماء من البئر فى كل

www.ibtesamah.com/vb

لحظة وعلى الرغم من أن سلسلة الدلو تشحم من وقت لآخر فانه يصدر عنها صرير مزعج .. ولم يجد المسكين بدا من البقـــاء في غرفته . ولكن لو فرضنا جدلا أنه كانت لدى غرفة خالية تطل على الفناء ما قتل .

فسأله ميجريه :

ـ ولماذا ؟

ـ ألم يذكروا لك أن الرصاصة اطلقت عليه من مكان يبعـــد ستة أمتار على الأقل . وبما أن الغرفة طولها خمسة أمتار فقط فذلك يدل على أن القاتل كان يقف بالخارج . وانه انتهز فرصة خلو طريق العشب من المارة .. انه كان بمقدوره أن يدخل الفنـــاء ليرتكب جريمته ولكن لو أن هذا حدث لكنا سمعناه .. هل لكما في كأس أخرى أيها السيدان ؟ . على حساب الفندق طبعا .

وقال ميجريه :

ـ اثنتان !

فسأله جرنييه :

ـ ماذا تعني ؟

ـ مصادفتان .. الأولى : العيد القومي .. عدم صوت الطلقة في صخبه وضجته . الأخرى كانت جميع الغرف المطلة على الفناء مشـــغولة ..

وتحول الى مسيو تارديفون الذي كان قد فرغ من ملء الكئوس وقال :

ـ كم نزيلا لديك الآن ؟

ـ أربعة وثلاثون .. ومنهم الأطفال .

ـ ألم يغادر الفندق أحد بعد وقوع الجريمة ؟

ـ سبعة أشخاص كما قلت لك .. أسرة من ضواحي باريس ، من سان دنيس على ما اعتقد .. ميكانيكي وزوجته وحماته واخت زوجته واولاده .. هم اناس من السوقة ليسوا على شيء من الأخلاق أو الأدب وقد سرت اذ تخلصت منهم بانتقالهم الى فندق لاكومرس فلكل عملاؤه سوف يقول لك الجميع أن نزلائي من صفوة القوم .

www.ibtesamah.com/vb

ـ قيم كان المسيو كليمان يقضى ايامه ؟

ـ يتعذر على أن أقول لك ذلك . كان يمشى على قدميه .. وقد خيل الى ذات وقت ان له فى الضواحى ولدا غير شرعى . مجرد ظن لان المرء يحاول أن يقف على كل شىء على الرغم منه . كان رجلا مؤدبا وان كان يبدو دائما حزينا .. لم اره قط يجتمع بغيره من نزلاء الفندق على مائدة الضيوف لان لدينا مائدة للضيوف فى الشتاء .. كان يفضل دائما الجلوس بمعزل عن الناس ويتناول طعامه فى ركن وحده .

أخرج ميجريه من جيبه مفكرة صغيرة مجلدة بقطعة من القماش الاسود دون فيها بالقلم الرصاص هذه الملاحظات .

١ ـ برقية الى روين .
٢ ـ برقية الى شركة نيبل .
٣ ـ فحص الفناء .
٤ ـ استقاء المعلومات عن قصر دى سان هيلير .
٥ ـ البصمات الموجودة على الخنجر .
٦ ـ قائمة باسماء النزلاء .
٧ ـ أسر الميكانيكى بفندق لاكومرس .
٨ ـ الناس الذين غادروا سانسر يوم الأحد ٢٦ .
٩ ـ طواف منادى البلد للاعلان عن مكافأة لمن صادف مسيو جاليه فى طريقه يوم السبت ٢٥ .

ابتسم مفتش نيفر ابتسامة متكلفة وراح يتابع بعينيه كل حركات ميجريه . وسأله أخيرا قائلا :

ـ حسنا ؟ . هل كونت لنفسك فكرة ؟ .

ـ لا .. سأرسل برقيتين ثم أذهب الى فراشى .

ولم يعد بالمقهى غير بضعة أشخاص من أهالى البلد راحوا يفرغون من لعبة البلياردو . وذهب ميجريه فألقى نظرة على طريق العشب الذى كان فى وقت من الأوقات طريقا عاما يؤدى الى قصر دى سان هيلير والذى مازالت أشجار القرو قائمة على جانبيه .

ورأى الطريق تغطيه طبقة كثيفة من الأعشاب والكلأ وعشب الانجره الأبيض . وكان الوقت ليلا فلم يستطع أن يميز شيئا .

www.ibtesamah.com/vb

وتاهب جرتييه للذهاب الى المحطة وعاد ميجـــريه ادراجه ليودعه ورد عليه جرنييه قائلا :

ـ أرجو أن توفق .. ولكنى لااخفى عليك أن هذه قضية قذرة أليس كذلك ؟.. ليس فيها مايثير .. وكذلك ليس فيها ما يمكن ان نتعلق به .. الحق أننى أرثى لك .

وسار القوميسير ميجريه الى غرفة بالدور الأول حيث بدا الناموس موسيقاه حول رأسه . كان محنقا ، فان المهمة التى تنتظره كانت مهمة تافهة تدعو الى الانقباض .

ومع ذلك فما كاد يستلقى على الفراش حتى راح يستعرض فى مخيلته وجه جاليه بدلا من ان ينام ولم يميز منه غير وجنته تارة واسفل الوجه تارة أخرى .

وتقلب مرارا فى ارتباك فوق الملاءات الرطبة . وكان يتناهى الى سمعه خرير النهر الذى تتلاطم أمواجه على طول الشاطىء .

كان لكل قضية جنائية مميزاتها ، يصل اليها ان عاجلا وان آجلا وتقوده غالبا الى مفتاح السر .

أفتكون مميزات هذه القضية دون المتوسط ؟.

حياة دون المتوسط فى سان قارجو .. « فيللا » دون المتوسط ديكور ضيق ومعه صورة الفتى بملابس القربان الأولى وصورة الأب « بسترته » الشديدة الضيق فوق المعزف .

وكذلك حياة دون المتوسط فى سانسير .. اصطياف رخيص وفندق من الدرجة الثانية .

كل التفاصيل والحقائق تجتمع فتؤكد هذه الصورة .

وكيل شركة نيل فضيات زائفة .. تـــرف زائف .. نمط زائف .

العيد القومى .. والمهرجون .. والبارود والصواريخ .

زد على ذلك الوقار والترفع من مدام جاليه التى تدحرجت قبعتها المصنوعة من الحرير الأسود تزينها عقدة بنفسجية وسلسلة من حجر الماس الزائف .

احس ميجريه بارتياح كبير عندما علم فى الصباح ان الارملة

www.ibtesamah.com/vb

استقلت أول قطار عائدة الى سان فارجو وأن التابوت الذى يضم رفات اميل جاليه فى طريقه بدوره على احدى سيارات النقل الى « فيللا » مارجريت .

كان بريد أن ينتهى من هذه القضية بأسرع مايمكن فقد سأقر الجميع .. القاضى والطبيب ذو المدعوين السبعة والمفتش جرنييه وبقى هو وحده وأمامه مهمة معينة لابد له من انجازها .

اولا انتظار الرد على البرقيتين اللتين أرسلهما مساء الأمس ثم فحص الغرفة التى ارتكبت فيها الجريمة والتحرى عن الذين تدور حولهم الشبهات نتيجة لذلك .

ولم يتأخر رد روين فقد جاءت برقية من بوليس المدينة تقول :

«سألنا موظفى فندق لابوست وأجابت عاملة الخزينة ايرما ستروسر بأن المدعو اميل جاليه أرسل اليها بطاقات بريدية داخل مظروف وطلب منها أن تعيد ارسالها الى سان فارجو . وكان ينقدها مائة فرنك شهريا للقيام بهذا العمل . وهى تفعل ذلك منذ خمس سنوات وتعتقد أن عاملة الخزينة السابقة كانت تقوم بالعمل نفسه هى الأخرى ..

وبعد نصف ساعة ، أى حوالى العاشرة وصلت برقية أخرى من شركة نيبل تقول :

« اميل جاليه ترك العمل بالشركة منذ سنة ١٩١٢ ».

وتناول ميجريه فطوره فى اللحظة التى بدأ فيها المنادى جولته فى أنحاء البلد . وبعد أن فرغ من طعامه خرج يفحص فناء الفندق فلم ير فيه شيئا غير عادى يثير الانتباه . وأقبل بعضهم ليخبره أن عامل الاشارة يريد ان يتحدث اليه .

وقال له العامل :

ـ كنت فى الطريق المؤدى الى سان تيبو عندما رأيت مسيو كليمان . وكنت أعرفه اذ سبق أن التقيت به قبل ذلك . واقبل شاب من طريق المزرعة ولم يلبث أن التقى به وجها لوجه . وكنت على مسافة مائة متر تقريبا ولكنى أدركت من حركاتهما واشاراتهما انهما يتشاجران .

www.ibtesamah.com/vb

ـ وهل افترقا بعد ذلك ؟.

ـ لا . بل سارا معا جزءا من الطريق نحو الشاطىء . ثم عاد مسيو كليمان وحده . وبعد نصف ساعة من ذلك رأيت الشاب في فندق لاكومرس .

ـ وما هى أوصافه ؟.

ـ هو شاب نحيف طويل القامة يضع على عينيه نظارة « قشرة » .

ـ وماذا كان يرتدى ؟.

ـ لا استطيع أن أحدد .. ولكنى أظن انه كان يرتدى حلة رمادية أو سمراء ... هل لى الحق فى الخمسين فرنكا .

ونقده ميجريه الخمسين فرنكا ثم سار الى فندق لاكومرس حيث تناول مشروبا بالأمس .

ودلت تحرياته على أن الشاب تناول فطوره فى الفندق يوم السبت ٢٥ من يونية ولكن قيل له أن الجرسون الذى قام على خدمته فى أجازة وأن مسكنه يبعد نحو عشرين كيلو متر . وقال يسأل الموظف الذى رد عليه :

ـ هل أنت واثق انه لم يقض الليل بالفندق ؟.

ـ لو أنه فعل لكان اسمه مقيدا فى السجل .

ـ ألا يذكره أحد ؟.

وتذكرت عاملة الخزينة أن شابا طلب مكرونة من غير زبدة وأن الطاهى أعدها له وقالت :

ـ كان جالسا فى هذا المكان ... الى يسار العمود . وكان يبدو من هيئته أنه مريض .

وكان الحر قد بدأ يظهر ، ومن ناحية اخرى كان ميجريه قد تخلص من الملل والضيق الذى يحس بهما منذ الصباح .. وقال يسأل :

ـ أهو طويل الراس ... رفيع الشفتين ؟.

ـ ان له فما كبيرا تنطق ثناياه بالازدراء والاحتقار . لم يشأ

www.ibtesamah.com/vb

أن يتناول قهوة أو مشروبا بعد الطعام .. هناك عملاء كثيرون على شاكلته تما تعرف .

لماذا استعاد ميجريه الى ذهنه صورة الفتى المرتدى القربان الاول .. لا يدرى .

كان فى الخامسة والأربعين من عمره وقد قضى نصف حياته فى التنقل فى الفروع المختلفة لادارة الأمن العام ... بوليس الآداب والبوليس المدنى وبوليس محطات السكك الحديدية وبوليس الميسر وغير ذلك حتى انتهى به المطاف اخيرا فى ادارة البوليس القضائى ... وكانت كل هذه التنقلات والتغييرات كفيلة بأن تقتل فيه كل ارادة غير ثابتة للتصوف ولانتزاع الايمان من وجدانه .

ومع ذلك فلم يمنع كل هذا من أن تتعاقب صورة الاب والابن طوال الاربع والعشرين ساعة تقريبا وأن تلح كل منهما تماما كما تلح عليه هذه الجملة العادية التى نطقت بها مدام جاليه

« كان يتبع نظاما خاصا . »

وسار الى مكتب البريد وليس فى رأسه فكرة معينة واتصل بعمدة سان فارجو وتحدث قائلا :

ـ آلو ... هنا البوليس القضائى ... هل تستطيع أن تذكر لى متى يتم اجراءات دفن اميل جاليه ؟.

ـ غدا ، فى الساعة الثامنة صباحا .

ـ فى سان فارجو ؟.

ـ اجل .

ـ اتسمح لى بسؤال آخر ؟.. من الذى يتحدث ؟.

ـ انا المعلم .

ـ هل تعرف مسيو جاليه الابن ؟.

ـ لقد رايته كثيرا ... وقد جاءنى هذا الصباح ومعه بعض الأوراق .

ـ ما هى أوصافه ؟.

ـ ماذا تعنى ؟.

www.ibtesamah.com/vb

ـ هلْ هو طويلٌ ؟.. نحيف ؟
ـ نعم . هو كذلك .
ـ وهل يضع على عينيه نظارة ؟.
ـ انتظر ... اننى اتذكر الآن .. نظارة « قشرة » .
ـ الا تعرف ان كان مريضا .
ـ وكيف أعرف ذلك ؟ . انه شاحب اللون على كل حالٍ .
ـ أشكرك .

وبعد عشر دقائق كان القوميسير يعود من جديد الى فندق لاكومرسن ..

ـ أيتها السيدة .. عميل يوم السبت .. هلْ كان يلبس نظارة ؟.

واستعادت عاملة الخزينة ذكرياتها ولم تلبث ان هزت راسها قائلة :

ـ نعم .. لا .. الحق اننى لا ادرى .. فانه يقصدنا اناس كثيرون فى الصيف . ان ما جذب نظرى اليه هو فمه .. واذكر اننى قلت للجرسون بهذه المناسبة ان له فما اشبه بفم الضفدع .

وقضى وقتا طويلا حتى اهتدى الى عامل الاشارة ووجده اخيرا يحتسى الشراب مع بعض الرفاق فى مشرب خلف الكنيسة وساله قائلا :

ـ قلت لى ان الشاب كان يلبس نظارة ؟.
ـ الشاب ، نعم .. أما العجوز فلا .
ـ أى نوع من النظارات ؟.
ـ نظارة مستديرة ذات دوائر سوداء .

كان ميجريه قد أحس بالسعادة والارتياح عندما نهض فى صباح اليوم وعلم ان الميت ومدام جاليه انتقلا الى سان فارجو وان القاضى والطبيب ورجال البوليس غادروا سانسر . وسره ان يبقى وحده أمام قضية جوهرية والا يستعرض فى ذهنه بعد ذلك رأس الرجل العجوز ذى اللحية القصيرة .. واستقل القطار فى الساعة الثالثة الى سان فارجو .

www.ibtesamah.com/vb

لم ير من اميـــلّ جاليه أولا الا صورة ثم لم يلبث أن رأى نصف وجهه .

أما الآن فهو لن يجد أمامه غير تابوت مغلق .

وبينما كان القطار ينطلق كان يحس انه يجرى خلف المينت .

وفى سانسير جلس مسيو تارديفو الى خير عملائه وقال فى خيبة امل كبيرة :

ـ رجلٌ رزين تبدو عليه سيماء الجد ... رجلٌ مثلى ومثلك وهاهو ذا يهـــرب من غير أن يدخل الغـــرفة التى وقعت فيهـــا الجريمة ... هل تريد أن ترى الغرفة التى مات فيها ذلك الرجل .. هذا غريب .. ومع ذلك فان بوليس نيفر وحده هو الذى قام بالاجراءات كما ينبغى .. فقبلّ أن ينقلوا الجثة رســـموا حـــولّ موضعها دائرة على الأرض بالطباشـــــير .. حذار .. لا تلمس شيئا .. فلا يمكن ان ندرى الى اين تقودنا مثل هذه الأمور .

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثالث

إصابات تضرى جالبه

قضى ميجريه الليل بمنزله بشارع ريشار لينوار وغادره فى الصباح الباكر من يوم الأربعاء الى سان فارجو حيث بلغها قبيل الثامنة صباحا . وكان قد خرج من المحطة عندما تذكر شيئا فعاد أدراجه وسأل الموظف :

ـ هل كان مسيو جاليه يستقل القطار غالبا ؟.

ـ الأب أم الابن ؟.

ـ الأب .

ـ كل شهر . كان يغيب ثلاثة أسابيع ويقطع تذكرة درجة ثانية الى روين .

ـ والابن ؟.

ـ انه يأتى مساء كل سبت تقريبا من باريس ومعه تذكرة ذهاب وإياب درجة ثالثة ويعود يوم الأحد مستقلا آخر قطار ... من الذى كان يتوقع ؟ ... اننى لا ازال اراه اول احد من يونية مفتتحا فصل الصيد .

ـ الأب أو الابن ؟.

ـ الأب طبعا .. انظر .. هذا هو زورقه .. الزورق الأزرق الذى تراه بين الأشجار .. زورق سيتهافت الجميع على شرائه لأنه صنعه هو نفسه من خشب القرو .. لقد صنع كثيرا من الأجهزة وكلها تشهد ببراعته ودقته كهذه الأجهزة التى تراها هناك .

www.ibtesamah.com/vb

أضاف ميجريه فى أمانة هذه الصورة الصغيرة الجديدة الى الصوره التى مازالت غير واضحة المعالم والتى كونها لنفسه عن الميت ونظر الى الزورق والى نهر السين وأتى بجهد كبير ليتصور ذلك الرجل ذا اللحية القصيرة جالسا بغير حراك ساعات طويلة والبوصة فى يده .

وانطلق الى « فيللا » مارجريت بدون أن يلحظ عربة فارغة من عربات نقل الموتى من الدرجة الثانية تقطع الطريق نفسه الذى يقطعه .

ولم يكن هناك أحد فى الأرجاء غير رجل يجر عربة يد وقد توقف عندما رأى عربة نقل الموتى يدفعه الفضول الى أن يرى الجنازة من غير شك .

وكان جرس الباب قد غطى بقماش أبيض وجلل الباب العمومى بالسواد ونقش الحرفان الأولان من اسم الميت بالبرودرى الفضى .

ولم يكن ميجريه يتوقع كل هذه المظاهر . وعلى يسار الباب، فى الفناء ، كانت هناك « صينية » وضعت بها بطاقة عمدة سان فارجو وقد ثنى أحد أطرافها .

وكان الصالون الذى سبق أن استقبل فيه القوميسير قد حول الى معبد مؤقت فنقلت قطع الأثاث الى غرفة الطعام وغطيت الجدران بالستائر السوداء ووضع التابوت فى وسط الغرفة تحيط به الشموع .

ولم يكن فى مقدور ميجريه ان يقول لماذا بدا له كل هذا العمل غامضا مبهما ، ولعل ذلك لأنه لم يكن هناك أى أثر للمعزين ولأنه شعر بأن أحدا منهم لن يأتى على الرغم من أن عربة نقل الموتى واقفة بالباب .

ثم هذه البطاقة وحدها فى « الصينية » . وكل هذه الدموع الفضية ، ومدام جاليه على يمين التابوت بثياب الحداد وقد غطت وجهها بغلالة رقيقة سوداء وأمسكت بيدها مسبحة قاتمة على حين وقف هنرى الى اليسار بثياب الحداد هو الآخر .

وتقدم ميجريه فى صمت وانحنى وأمسك بقشة من نبات

www.ibtesamah.com/vb

البقس دسها فى الماء المقدس ورش به التـــابوت وأحس بأن الأم والابن يتابعانه بعينيهما ولكن لم ينطق أحدهما بكلمة .

وعندما فرغ ذهب فوقف فى ركن من الغرفة مترقبـــا فى الوقت نفسه الأصوات التى تتناهى اليه من الخارج والتعبيـرات المختلفة التى ترتسم على وجه الشاب . كانت الجياد تضرب الأرض بحوافرها فى بعض الأحيان وعمال نقل الموتى يتهامسون بجـــوار النافذة فى الخارج . وفى الغرفة التى ينتظر فيهـا الميت والتى لا تضيؤها الا الشموع كان وجه الابن غير المتناسق يبدو أكثـــر تنافرا بسبب كل ذلك السواد الذى لا يتناسب مع بياض بشرته المريضة .

كان شعره ملتصقا بفروة رأسه يقسمه فرق الى قســـــمين وكان مرتفع الجبين برأسه حدب ظاهر .. وكانت عيناه تدوران خلف زجاج النظارة السميك فى قلق متهربتين من نظرة ميجريه.

وكانت مدام ميجريه تمسح عينيها بمنديل مجلل بالسواد من وقت لآخر تحت الغلالة الرقيقة ، وحدقتا هنرى لا تستقران فى مكان . كانتا تنزلقان على الأشياء بعيدتين عن القوميســـير الذى تنهد فى ارتياح عندما سمع وقع خطوات عمال نقل الموتى .

واصطدمت النقالة فيما بعد بأحد الجدران وشـــهقت مدام ميجريه شهقة قصيرة واكتفى ابنها بأن وبت على كتفها وهو ينظر الى مكان آخر .

وكان التباين شديدا بين عظمة عربة نقل الموتى من الدرجـة الثانية وبين الشخصين اللذين يسيران يتقدمهما تشريفاتى تنطق اقسماته بالحيرة .

كان الجو شديد الحرارة ورسم صاحب عربة اليـــد علامة الصليب ثم انطلق فى طريق جانبى على حين صارت الجنازة كنقطة سوداء فى الشارع الواسع الذى يسبح فرقة باكملها .

* * *

ترك ميجريه الجنازة فى الطـــريق على حين تجمع بعض الفلاحين فى الميدان ، ودخل دار العمدة حيث لم يجد أحـــدا . واضطر أن يبحث عن المعلم فى فصله ، وكان يعمـــل فى الوقت

www.ibtesamah.com/vb

نفسه مساعدا للعمدة . وقد ترك الأطفال لحظة واسرع الى ميجريه وقال له :

ـ كل ما يمكننى أن أؤديه لك هو أن أطلعك على ما هو مقيد بالسجل .. اقرأ ..

« اميل ايفس جاليه المولود فى نانت سنة ١٨٧٩ تزوج فى باريس فى اكتوبر سنة ١٩٠٢ باورون بريجان . وقد انجبا ولدا اسمه هنرى ولد فى باريس سنة ١٩٠٦ وهو مقيد فى مكتب سجل مدنى الدائرة التاسعة . »

ـ الا يحبهم أهل البلد ؟

ـ اعنى أن آل جاليه الذين اقاموا « الفيللا » فى سنة ١٩١٠ عندما تم تقسيم الغابة لم يظهروا ميلا الى زيارة أحد ولم يشجعوا أحدا على زيارتهم .. انهم اناس متكبرون الى حد كبير .. وقد حدث ان اصطدمت يوما فى زورقى على بعد اقل من عشرة أمتار من زورق مسيو جاليه .. لو اننى احتجت الى شىء لأعطانيه بطيب خاطر ولكن ما كان فى مقدورى أن أظفر منه بخمس كلمات متتابعة .

ـ بكم تقدر نفقات معيشتهم شهريا .

ـ من المتعذر تحديد ذلك لاننى لا اعرف كم ينفق فى رحلاته ولكن هنا فقط لاتقل نفقاتهم عن الفى فرنك شهريا .. لو انك رأيت « الفيللا » لتحققت أنت نفسك انه لا ينقصهم شىء .. فهم يحضرون كل ما يحتاجون اليه من حبوب وبقول وتموين من أكوربى أو من ميلون .. ثم شىء آخر ينبغى أن ...

ورأى ميجريه فى هذه اللحظة من خلال النافذة الجنازة تدور بالكنيسة وتدخل المقبرة فشكر محدثه وسمع وهو يسير أول « مجرفة » من التراب تسقط فوق التابوت .

وتحاشى الظهور ودار بالكنيسة ليصل الى « الفيللا » من طريق آخر حيث حرص على أن يصل بعد آل جاليه بقليل . وفتحت له الخادم الباب ونظرت اليه مترددة وبدأت تقول :

ـ ان سيدتى لا تستطيع ...

www.ibtesamah.com/vb

ـ اخبرى مسيو هنرى اننى اريد ان اتحدث اليك .
وتركته الخادمة بالخارج . وبعد لحظات ظهرت سحنة الشاب في الممر وتقدم نحو الباب ونظر الى ميجريه متسائلا ثم قال :

ـ ألا يمكن أن تؤجل هذه الزيارة الى وقت آخـــــر ... ان والدتى مرهقة .

ـ لابد لى من التحدث اليك اليوم . والتمس معـــــذرتك لاصرارى .

تحول هنرى الى الداخل على كره منه وتبعه ميجريه . وتردد الشاب أمام الأبواب . وأخيرا دفع باب غرفة الطعام حيث تكدست قطع الأثاث بطريقة جعلت من المتعذر السير فيها .
ورأى ميجريه صـــورة الشـــاب وهو بثيـــاب القربان الأول موضوعة على المائدة وبحث عبثا عن صورة جاليه .

ولم يجلس الشاب ولم ينطق بكلمة ولكنه خلع نظارته ليمســـح زجاجها فى ضيق على حين تحركت حواجبه بفعل الضوء الذى طالع عينيه فجأة .

ـ لا شك انك تعرف أننى مكلف بالبحث عن قاتل ابيك .

ـ ولهذا يدهشنى أن أراك هنا فى وقت كان ينبغى أن تتركنا فيه أنا وأمى ولو بدافع اللياقة .
ووضع هنرى نظارته على عينيه . ولم تختلج عضلة واحدة من عضلات وجهه البارز العظام الواضح القسمات والذى تشيع فيه امارات الحزن والكآبة . واعتمد بمرفقه على المعزف المغطى بقطعة من القماش الأخضر .

وقال ميجريه :

ـ أردت أن أعرف منك بعض معلومات عن أبيك وعن الأسرة كلها .

لم يفتح هنرى فمه ولم يتحرك وبقى ساكنا جافا مكتئبا .

ـ هل لك أن تقول لى أولا أين كنت يوم السبت ٢٥ من يونية فى نحو الساعة الرابعة مساء ؟ .

www.ibtesamah.com/vb

ـ قبل أن أرد عليك سألقى عليك سؤالا . هل هناك مايرغمنى فى مثل هذه اللحظة على استقبالك والرد عليك ؟.

دائما الصوت المحايد نفسه المبنى على الضيق كما لو أن كل مقطع تسبب فى ارهاقه .

ـ لك مطلق الحرية فى أن تسكت ومع ذلك فانى أنصحك ..

ـ فى أى مكان أظهرت لك تحرياتك أننى كنت فيه ؟.

لم يجب ميجريه. والحق أنه دهش أمام هذا التحول المفاجىء الذى لم يكن ينتظره ، فضلا عن أنه تعذر عليه أن يقرأ فى ملامح الشاب ما يعتمل فى نفسه .

ولزم هنرى الصمت بضع لحظات . وارتفع صوت الخادم من تحت وهى ترد على نداء من الدور الأول :

ـ انا قادمة يا سيدتى .

ـ حسنا ..

ـ اننى كنت هناك مادمت تعرف .

ـ فى سانسر ؟.

ولم يبد هنرى أى حركة .

ـ وقد تشاجرت مع أبيك فى الطريق المؤدى الى القصر القديم ...

كان ميجريه اكثر الاثنين انفعالا لأنه كان يحس أن ضرباته تهوى فى الفضاء وان صوته لا رنين له وان شكوكه لا صدى لها . والشىء الوحيد الذى كان يثير حيرته اكثر من أى شىء آخر هو صمت هنرى جاليه الذى وقف ينتظر من غير ان يحاول توضيح موقفه .

ـ هل يمكن أن تقول لى ماذا كنت تفعل فى سانسر ؟.

ـ كنت ذاهبا لأرى صديقتى اليونور بورسانج التى تقضى أجازتها فى بنسيون جرمان على طريق سانسر بسان تيبو .

ورفع حاجبيه فى حركة غير ارادية .. وكانا كثيفين كثافة حاجبى أميل جاليه .

ـ أما كنت تعلم بوجود أبيك فى سانسر ؟.

ـ لو اننى علمت بوجوده لتحاشيت مقابلته .

www.ibtesamah.com/vb

دائما ردود مقتضبة لا يسع القوميسير ازاءها الا أن يعيد سؤاله .

ـ وهل كان أهلك على علم بهذه العلاقة ؟.

ـ كان أبي يشتبه فيها ويعارضها .

ـ ولماذا تشاجرتما ؟.

فأجاب الشاب في بطء :

ـ هل تتحرى عن القاتل أو عن القتيل ؟.

ـ سوف اعرف القاتل اذا عرفت القتيل جيدا . هل وجه ابوك اليك لوما ؟.

ـ عفوا ... لقد عتبت عليه تجسسه علي .

ـ وبعد ؟.

ـ لا شيء .. دعاني بابن عاق .. واشكرك اذ ذكرتني بذلك.

وسمع ميجريه في شيء من الارتياح صوت خطوات على السلم ولم تلبث أن ظهرت مدام جاليه بجلالها وترفعها العاديين ،وعنقها مثقل بعقد ذي ثلاثة فروع من الأحجار القاتمة اللون وسألت وهي تنقل البصر بين ميجريه وابنها هنري :

ـ ما الخبر ؟.. لماذا لم تدعني يا هنري ؟.

ودخلت الخادم بعد ان طرقت الباب وقالت :

ـ لقد أتى الفراشون لنقل الستائر .

ـ راقبيهم اذن .

وقال ميجريه في لهجة حادة بعض الشيء :

ـ لقد اتيت سعيا وراء معلومات اعتقد انها ضرورية لكشف النقاب عن الجاني . ان الوقت غير مناسب بلا شك كما قال لي ابنك . ولكن كل ساعة تمر تجعل القبض على القاتل اشد صعوبة وتعقيدا .

ونظر الى هنري ولكن هذا الأخير كان أسرع منه فنظر الى ناحية أخرى .

وتحول ميجريه الى الأم فسألها قائلا :

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل كانت لك ثروة خاصة عندما تزوجت اميل جاليه يا سيدتي ؟.

وشدت المراة قامتها فى ترفع وأجابت فى كبرياء :

ـ اننى ابنة أوجست بريجان.

ـ التمس معذرتك ... ولكننى ...

ـ ان أبى هو السكرتير السابق لآخر أمير من أمراء آل بوربون ، وقد كان مديراً للجريدة الرسمية للحزب الملكى ... وقد انفق ثروته عن آخرها فى سبيل الجريدة التى تنطق بلسان الملكيين.

ـ هل مازال لك أهل ؟.

ـ لا ريب فى ذلك . ولكنى لم أر أحدا منهم منذ زواجى .

ـ اما كانوا يحبذون هذا الزواج ؟.

ـ ما ذكرته لك الآن كان ينبغى ان يساعدك على الادراك . كل افراد اسرتى ملكيون . وكل اعمامى واخوالى يشتغلون مراكز مرموقة . وقد حقدوا على لأننى تزوجت وكيلا تجاريا .

ـ الم يترك لك أبوك ثروة عند مماته ؟.

ـ لقد مات أبى بعد زواجى بعام ... وكان زوجى يملك عند اقترانى به ثلاثين الف فرنك .

ـ وعائلته ؟.

ـ لم أعرفها . كان يتحاشى الحديث عنها . كل ما أعرفه هو انه قضى طفولة بائسة وانه مكث بضع سنوات فى الهندالصينية.

وراى ميجريه على شفتى الابن شبح ابتسامة كلها ازدراء .

ـ اذا كنت القى عليك هذه الأسئلة يا سيدتى فذلك لأننى علمت اولا ان زوجك ترك العمل بشركة نييل منذ ثمانية عشر عاما .

حدقت المراة بالنظر الى القوميسير ثم الى ابنها وقالت محتجة فى حدة :

ـ سيدى ...

ـ اننى عرفت ذلك من مسيو نييل نفسه.

وقال الشاب وهو يتقدم نحو ميجريه :

ـ اظن الأوفق يا سيدى ...

www.ibtesamah.com/vb

ـ كلا يا هنرى ... أريد أن أثبت للقوميسير أن هذا كذب انها فرية فظيعة .. تفضل ايها القوميسير .. نعم .. نعم .. اتبعنى .

وسارت نحو الممر وقد تملكها الانفعال أول مرة واصطدمت فى طريقها بكومة من السجاد الأسود كان الفراشون يقومون بطيها . وتقدمت القوميسير الى الدور الأول واجتازا غرفة نوم مصنوعة من خشب الجوز الملمع حيث رأى ميجريه مشجبا علقت عليه قبعة من القش لاميل جاليه وحلة من الكتان كان لا شك يستعملهما فى الصيد .

وبعد غرفة النوم كانت هناك غرفة أخرى اعدت لتكون مكتبا . وقالت مدام جاليه :

ـ انظر ... هذه هى « العينات » ... وهذه الأدوات المعدنية مصنوعة طبقا للطراز البشع السائد هذه الأيام .. ولا يرجع تاريخها الى ثمانية عشر عاما ، اليس كذلك ؟.. وهذا هو دفتر الطلبات ويقوم زوجى بقيده أولا بأول حسب تواريخ الطلبات التى يحصل عليها ... واليك أخيرا خطابات من شركة نيبل كانت تأتيه بانتظام .

لم يلق ميجريه على كل ذلك غير نظرة عابرة .. كان مقتنعا بأنه لابد له من العودة الى هذه الغرفة مرة ثانية وأن يعيش فى الجو الذى عاش فيه القتيل .

وفى هذه الغرفة أيضا حاول أن يتصور اميل جاليه فى المقعد الدوار القائم امام المكتب . وعلى المكتب نفسه كانت هناك محبرة من المعدن وكرة من البللور تستعمل « ثقالة » للورق .

ومن النافذة ابصر الممر الرئيسى للتقسيم وسطحا أحمر « لفيللا » لا يسكنها أحد . وخطابات شركة نيبل كانت مكتوبة على الآلة الكاتبة طبقا لصيغة معروفة :

سيدى العزيز ..

تسلمنا خطابك المؤرخ ١٥ من الجارى . مرفقا به كشف الطلبات لشهر يناير . ونحن فى انتظارك آخر الشهر لتصفية حساباتنا كما

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

هى العادة ، وسوف تزودك ببضعة ارشادات بخصوص توسيع دائرة نشاطك .

مع تحيات ...

جان نيبل (امضاء)

واخذ ميجريه هذه الخطابات ودسها فى حافظته ..

وسألته مدام جاليه فى شيء من التحدى :

ـ ما رايك الآن ؟.

ـ وما هذه ؟.

ـ هذه أشياء لا أهمية لها .. كان زوجى يقضى وقته فى انجاز بعض الأعمال اليدوية .. وأنت ترى هناك ساعة مفكوكة .. وهناك فى المخزن أشياء كثيرة صنعها هو نفسه وبينها أدوات للصيد . كان لديه كل شهر ثمانية أيام يقضيها فى البيت وتحرير مراسلاته وطلباته لا تشغل من وقته غير ساعة أو ساعتين فى الصباح .

فتح ميجريه الأدراج مصادفة . ورأى فى احدها ملفا ضخما وردى اللون عليه هذه الكلمة :

« الشمس »

وقالت مدام جاليه :

ـ هذه أوراق ابى ، ولا أدرى لماذا احتفظنا بها . وتوجد فى هذا « الدولاب » مجموعة كاملة من الجريدة من أول عدد صدر حتى آخر عدد منها، وهى الجريدة التى انفق أبى كل امواله فى سبيلها.

ـ هل تسمحين أن آخذ الملف معى ؟.

تحولت مدام جاليه نحو الباب كما لو كانت تريد أن تستطلع رأى ابنها ولكن هنرى لم يكن قد تبعهما .. فقالت :

ـ ما الذى يمكن أن تستخلصه منه ؟... هذا الملف نوع من المخلفات . ولكن اذا كنت تعتقد .. قل لى .. لا يمكن أن يؤكد مسيو نيبل طبعا .. مثل هذه البطاقات .. قد جاءتنى بطاقة أمس وهى مرسلة من روين كغيرها .. اقرأ .. « كل شيء على ما يرام . سأصل يوم الخميس . »

www.ibtesamah.com/vb

وغلبها الانفعال مرة أخرى ولكن سرعان ما تغلبت عليه وقالت :

ـ اننى لأكاد أنتظره ... فغدا يوم الخميس .

وفجأة أجهشت بالبكاء ، ولكن فى ايجاز عجيب . شهقتان أو ثلاث ثم رفعت المنديل المجلل بالسواد الى فمها وقالت فى صوت أجش :

ـ هلم بنا من هذه الغرفة .

وكان لابد لهما من العودة عن طريق غرفة النوم . وكانت من طراز عادى ولكن من نوع جيد وتضم « دولابا » ذا مرآتين « وطاولتين » وسجادة ايرانية رخيصة .

وفى ممشى الدور الأرضى كان هنرى واقفا يراقب الفراشين الذين ينقلون الستائر والسجاجيد الى عربة النقل . ولم ينظر اليهما بل لم يحول عينيه حتى اليهما وهما يهبطان على السلم الملمع الذى « قرقعت » درجاته .

وكان يسود البيت جو من الفوضى وعدم النظام . واقبلت الخادم وفى يدها لتر من النبيذ الأحمر ويضع كئوس ودخلت الصالون حيث كان رجلان يقومان بنقل المعزف وارتفع صوتها قائلة فى غير اكتراث :

ـ انه لن يؤذى أحدا .

واحس ميجريه باحساس لم يحس به من قبل وتملكته حيرة من أمره ... خيل اليه أن الحقيقة كلها متناثرة حوله فى ذلك البيت ولكن كان لابد له من ان يرى حقائق هذه القضية بطريقة أخرى غير تلك الطريقة التى تبدو له من خلال ضباب مهوش مغير للأوضاع . وكان ذلك الضباب يلح عليه بصورة غريبة تفرضها عليه تلك المرأة المترفعة التى تغالب انفعالها وهنرى الذى بدا وجهه الطويل غير المتناسق مستغلقا لا ينم عما يجيش فى صدره وتلك الستائر والسجاجيد التى تنقل من البيت واخيرا ارتباك ميجريه نفسه الذى كان يشعر بأن وجوده فى غير المكان المناسب .

وتملكه الخجل لهذا الملف الذى أخذه كما لو كان لصا مع انه

www.ibtesamah.com/vb

لم يكن يدرى كيف يمكن ان يفيده ... وود لو أن يبقى مدة اطول في غرفة المكتب وحده ... غرفة مكتب القتيل وان يتمشى فى المخزن حيث كان اميل جاليه يعكف على صنع أدوات الصيد المتقنة.

وسادت لحظة تردد . كان الجميع فى الممشى فى الوقت نفسه وكانت ساعة الفداء قد حانت . وكان واضحا ان آل جاليه ينتظرون انصراف القوميسير .

وامتلأت خياشيمه برائحة بصل محمر .. كانت الخادمة هى الوحيدة التى بقيت محتفظة بجأشها .

كان الملاذ الوحيد لكل من الموجودين هو النظر الى الفراشين وهم يعيدون النظام الى « الصالون » . وعثر أحدهم على صورة جاليه تحت « صينية » المشروبات . والتقطها ميجريه وهو يخاطب الأرملة قائلا :

ـ هل تسمحين لى بأخذها ؟.. قد احتاج اليها .

وشعر بأن هنرى يتابعه بعينيه فى ازدراء متزايد .

وقالت مدام جاليه :

ـ اذا لم يكن هناك منـــاص من ذلك ، فليس لدى صـــور كثيرة مثلها .

ـ اعدك أن أردها لك .

ولم يبد عليه ما يدل على انه يعتزم الانصراف . وكان العمال ينقلون فى هذه اللحظة وعاء كبيرا خزفيا زائفا وتدخلت مدام جاليه تقول فى وجل :

ـ حذار .. والا اصطدمتم بالباب .

دائما الخليط نفسه من الحزن والسخـرية والأسى والضـعة الذى يثقل على كتفى ميجريه فى ذلك البيت المقفر حيث يخيل له انه يرى شبحا يحوم ، هو شبح اميل جاليه « بسترته » غيـر المحكمة وبعينيه المتورمتين من تأثير مرض الكبد ... اميل جاليه الذى لم يره وهو على قيد الحياة .

وكان قد دس الصورة فى المنفض الوردى وقال فى تردد :

www.ibtesamah.com/vb

ـ التمس معذرتك يا سيدتى ... اننى منصرف ،ويسعدنى أن يرافقنى ابنك جزءا من الطريق .

نظرت مدام جاليه الى هنرى فى شىء من القلق لم تستطع اخفاءه . كانت تحس هى الأخرى على الرغم من ترفعها وتعاليها وحركاتها المتزنة وعقدها ذى الفروع الثلاثة ان هناك شيئا خافيا عليها . ولكن الشاب تناول فى غير اكتراث قبعته المجللة بالسواد من فوق المشجب .

وكان الانصراف على هذه الصورة أشبه شىء بالفرار .. كان الملف ثقيلا .. لم يكن أكثر من قطعتين من الورق المقوى تكاد الاوراق التى بينهما تفلت فى أى لحظة .

وسألته مدام جاليه :

ـ هل احضر لك جريدة تلفه فيها ؟.

ولكن ميجريه كان قد خرج . وتقدمت الخادم الى غرفةالطعام وفى يديها مفرش وسكاكين . وسار هنرى صامتا لا تدل نظراته على شىء .

وعندما صار الرجلان على بعد نحو ثلثمائة متر من البيت ، وبينما كان الفراشون يأخذون أماكنهم بعربة النقل قال القوميسير :

ـ لا أريد منك غير استعلامين فقط .. عنوان اليونور بورسانج فى باريس وعنوانك أنت .. وكذلك عنوان المصرف الذى تعمل به .

وأخذ قلما وكتب على غلاف الملف الوردى الذى بين يديه :

اليونور بورسانج ٢٧ شارع تورين ... مصرف سوفرينوس رقم ١٧ شارع بومارشيه ... هنرى جاليه فندق بلفى رقم ١٩ شارع لاروكيت .

وسأله الشاب :

ـ اهذا كل شىء ؟.

ـ نعم وشكرا .

ـ أرجو أن تهتم اذن بالقاتل .

www.ibtesamah.com/vb

ولم يحاولَ أن يرى الأثر الذى أحدثته كلماته هـــذه على السن حافة قبعته وعاد أدراجه الى « الفيللا » .

وتجاوزت سيارة النقل ميجريه قبل أن يصل المحطة بقليل.

***

وجاءه العنصر الأخير فى هذه القضية عفوا ، فقد بلغ ميجريه المحطة قبل قدوم القطار بساعة . وألفى نفسه وحيدا فى غـرفة الانتظار المقفرة والتى يلوذ بها جيش من الذباب .

ورأى ساعى البريد يأتى فوق دراجة . وكان رجلا متقدما فى السن يبدو من سحنته انه يعانى من داء القلب . وتوقف وتخلص من حقيبته فوضعها فوق « طاولة » تستعمل لحمل الأمتعـة . وتقدم القوميسير منه وسأله :

ـ هل أنت الذى توزع خطابات « فيللا » مارجريت ؟.

ولم يكن الرجل قد رآه فنظر اليه مرة واحدة وقال :

ـ ماذا تعنى ؟.

ـ بوليس ... أريد استقاء بعض المعلومات منك .. هل تأتى رسائل كثيرة لمسيو جاليه ؟.

ـ كثيرة ؟ .. لا .. لم يكن يأتيه أكثر من بضع رسـائل من الشركة التى كان يعمل بها . وكانت تأتيه فى أوقات معينة .. ثم بعض الجرائد .

ـ أى جرائد ؟.

ـ جرائد عن الريف .. وخاصـة من برىء من شـير .. ثم مجلات « الحياة فى الريف » و « الصيد والقنص » و « حيـاة القصور » .

ولحظ القوميسير ان الساعى يتحاشى نظراته فقال :

ـ هل هناك شباك لحفظ البريد فى سان فارجو ؟.

ـ ماذا تقصد ؟.

ـ هل كانت تأتى مسيو جاليه رسائل أخرى ؟ .

وبدا الارتباك على الساعى فجأة وتمتم :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ما دمت تعرف وما دام قد مات .. ثم انني لم اخالف التعليمات .. لقد طلب منى الا أضيع فى صندوق « الفيللا » خطابات معينة وان أحتفظ بها لحين عودته اذا كان مسافرا .

ـ اى خطابات ؟.

ـ أوه .. ليست كثيرة .. خطاب أو اثنان أو ثلاثة كل شهر ، خطابات زرقاء عادية .. والعنوان مكتوب على الآلة الكاتبة .

ـ هل كانت تحمل عنوان المرسل ؟..

ـ لا .. لم تكن تحمل على ظهرها أكثر من ثلاث كلمات مكتوبة على الآلة الكاتبة هى الأخرى وهى المرسل : مسيو يعقوب .. هل أسأت بعملى هذا ؟.

ـ ومن أين تأتى ؟ .

ـ من باريس .

ـ من اى دائرة ؟.

ـ كان ذلك يتغير فى كل مرة .

ـ ومتى جاءت آخر رسالة ؟.

ـ صبرا ... نحن الآن فى التاسع والعشرين من يونية ، اليس كذلك ؟.. يوم الأربعاء .. كان ذلك مساء يوم الخميس الماضى ، ولكننى لم أر مسيو جاليه الا صباح يوم الجمعة عندما كان ذاهبا للصيد .

ـ وهل ذهب الى الصيد ؟.

ـ لا . بل عاد الى بيته بعد أن نقدنى خمسة فرنكات كما هى عادته ... وقد حزنت كثيرا عندما علمت انه قتل .. هل تظن أن الرسالة ..

ـ هل غادر سان فارجو فى اليوم نفسه ؟.

ـ نعم .. حذار .. هل تنتظر قطار ليون ؟.. ها هوذا قادم هل لابد من ذكر كل ذلك ؟ .

ولم يجبه ميجريه . فهو لم يجد متسعا من الوقت الا ليجرى ويثب فى عربة الدرجة الأولى الوحيدة الملحقة بالقطار ..

www.ibtesamah.com/vb

« الفصل الرابع »

الحساب

عندما وصل ميجريه للمرة الثانية الى فندق لالوار أجاب فى فتور على تحية مسيو تاريفون الذى أسرع للقياه بعبارات الود والترحيب ثم تقدمه الى غرفته وهو يريه « ظروفا » كبيرة صفراء جاءت الى الفندق باسم القوميسير .

كان بينها تقرير الطبيب الشرعى ومحضر بوليس نيفر ؛ كما أرسل بوليس روين المعلومات الضافية عن الصرافة ايرما ستروس.

وقال صاحب الفندق :

ـ وليس هذا كل ما هناك فقد جاء الجاويش المختص بقسم نيفر لرؤيتك وهو يرجوك أن تتصل به بمجرد حضورك . وهناك اخيرا امرأة جاءت لتراك ثلاث مرات واظنها أقبلت ردا على نداء المنادى .

ـ اى امرأة ؟

ـ هى الأم كانو ؛ زوجة البستانى الذى يعمل عند سان هيلير صاحب القصر الذى حدثتك عنه .. هل تذكر ؟ .

ـ ألم تقل لك شيئا ؟

ـ انها ليست من الغباء الى هذا الحد .. فهى لن تنطق بحرف واحد مما تعرف مادامت هناك مكافأة .. هذا اذا كانت تعرف شيئا حقا .

وكان ميجريه قد القى الملف الوردى وصورة اميل جاليه على المنضدة فرد عليه قائلا :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ابعث فى طلب هذه المرأة ، واطلب لى الجاويش .

وبعد قليل كان يتحدث مع الجاويش الذى أخبره انه بمجرد صدور التعليمات اليه ألقى القبض على جميع المتشردين والمشبوهين فى الدائرة التى وقعت فيهـــا الجريمة وانهم موجودون تحت تصرفه .

ـ هل بينهم أشخاص ذوو اهمية ؟.

فاكتفى الجاويش بأن أجاب :

ـ هم كلهم متشردون .

وبقى ميجريه أمام هذه الأوراق وحده حوالى أربع دقائق .. وكان ينتظر أوراقا اخرى غيرها فقد أبرق الى باريس ليرســـلوا اليه معلوماتهم عن هنرى جاليه وصديقته ، ثم انه كان قد أخطر اورليان ليتحروا عن رجل بالمدينة يعرف باسم مسيو كليمان .

ولم يكن قد وجد متســـعا من الوقت ليفحص غرفة الجريمة أو ثياب القتيل التى أرسلت بعـــد الفراغ من تشريح الجثة الى الغرفة التى كان يشغلها .

كانت القضية فى البداية تبـدو كما لو كانت قضية عادية أبسط من البساطة .. رجل من أهالى المـدن قتله مجهول فى غرفته بالفندق . ولـكن كلما جاءت معلومات جـديدة ازدادت القضية تعقيدا بدلا من تبسيطها .

وصاح صوت فى الفناء يقول :

ـ هل ينبغى ادخالها غرفتك ايها القوميسير ؟ .. أعنى الآم كانوا ؟ .

ودخلت امرأة ضخمة الجسم تبدو القوة والهيبة على محياها ولم يكن هنـــاك شك فى انها اغتسلت واعتنت بهندامها ومظهرها لهذه المناســـبة . ونظرت الى ميجريه على الفـور نظرة الريفيـــة المتشككة .

ـ هل لديك ما تقولينه لى ؟ . بشأن مسيو كليمان ؟ .

ـ بشأن الرجل الذى قتل والذى ظهرت صورته فى الجريدة . هل صحيح انك تمنح خمسين فرنكا ؟.

ـ نعم .. اذا كنت قد رأيته يوم السبت ٢٥ من يونية .

www.ibtesamah.com/vb

ـ واذا كنت قد رأيته مرتين ؟ .

ـ اذا صح هذا فقد أمنحك مائة فرنك .. تكلمى .

ـ ينبغى أولا أن تعدنى الا تذكر لزوجى ما سوف اقول لك ؛ وليس ذلك خشية من أن يفقد عمله عند مسيو تيبورس ولكن لأنى أخشى ان يأخذ منى مائة الفرنك فينفقها فى الشراب ؛ وان كنت أوثر على كل حال ألا يعلم مسيو تيبورس اننى تكلمت .. لاننى رأيت الذى قتل معه .. المرة الأولى فى الصباح .. فى نحو الساعة الحادية عشرة .. وكانا يسيران جنبا الى جنب فى حديقة القصر .

ـ هل أنت واثقة انك رأيته ؟.

ـ كما أراك أنت الآن .. فليس هناك فى البلد كلها من يشبه القتيل .. وقد تبادلا الحديث قرابة الساعة .. ورأيته مرة اخرى بعد ظهر اليوم نفسه من نافذة « الصالون » .. وكان يبدو انهما يتشاجران .

ـ كم كانت الساعة عندئذ ؟.

ـ كانت قد دقت الخامسة .. وأنت ترى اننى رأيته مرتين .

ولم تغادر عيناها ميجريه وهو يخرج ورقة من فئة مائةالفرنك من محفظته . وتنهدت كما لو كانت تأسف انها لم تر مسيو كليمان مرة ثالثة فى ذلك اليوم .

وقال فى تردد :

ـ اظن اننى رأيته مرة ثالثة .. ولكن لاريب ان هذه المرة لا تدخل فى الحساب .. فقد رأيت مسيو تيبورس يشيعه بعد دقائق حتى الباب العمومى و ...

وقاطعها ميجريه فى صوت قاطع وهو يدفعها نحو الباب :

ـ هذه المرة لا تدخل فعلا فى الحساب .

واشعل غليونه والقى قبعته فوق راسه . وفى المقهى وقف امام مسيو تارديفون وسأله :

ـ هل يقطن مسيو دى سان هيلير فى القصر الصغير منذ مدة طويلة ؟.

www.ibtesamah.com/vb

ـ منذ عشرين سنه .

ـ أى نوع من الرجال هو ؟ .

ـ هو رجل محبوب قصير القامة بدين الجسم . مرح ، يحب البساطة لا يأتى الى الفندق صيفا اذ يكون مكتظا بالنزلاء ، وهو على أى حال من وسط آخر غير وسطهم ... ولكن فى موسم الصيد والقنص تراه عندى دائما .

ـ هل له أهل ؟.

ـ انه أرمل .. ونحن ندعوه دائما باسم تيبورس لأنه اسم غير شائع .. كل الكروم التى تمتد تحت سفح الربوة ملكة ويهتم بها هو نفسه ويذهب من وقت لآخر الى باريس للهو والتسلية ثم يعود فيشمر عن ساعديه ويعمل بجد ونشاط ... ترى ما الذى قالته لك الأم كانو ؟.

ـ هل تظن انه فى بيته الآن ؟.

ـ أعتقد ذلك . فلم أر سيارته تغادر القصر اليوم .

سار ميجريه الى الباب الحديدى وطرقه وهو يلحظ أن نهر اللوار يمتد حتى آخر الفندق ثم ينحنى مغيرا مجراه . ولما كان القصر هو آخر مبانى البلد فقد كان فى مقدور كل امرىء دخوله ومغادرته فى أى وقت من غير أن يراه أحد .

وكان السور يمتد فيما بعد الباب المسدود بنحو ثلثمائة أو اربعمائة متر ثم لا شىء بعد ذلك غير الغابة .

وفتح الباب رجل كث الشاربين يرتدى ثياب البستانيين ، وكانت رائحة الخمر تنبعث من فمه وأدرك القوميسير على الفور انه أمام زوج الأم كانو .

ـ هل سيدك هنا ؟.

وفى اللحظة نفسها أبصر ميجريه رجلا مشمرا عن ساعديه يفحص رشاشة كهربية وأدرك من نظرة البستانى انه أمام تيبورس دى سان هيلير نفسه . وترك هذا الأخير الرشاشة وتحول الى زائره وانتظر .

www.ibtesamah.com/vb

واذ رأى امارات التردد تظهر على وجه كانو التقط « سترته » من فوق العشب واقترب قائلا :

ـ هل تريد أن ترانى ؟.

ـ القوميسير ميجريه ، من البوليس القضائى ... هل تتكرم فتمنحنى بضع دقائق من وقتك ؟.

فقال صاحب القصر متذمرا وهو يشير بذقنه الى فنـــدق لالوار :

ـ دائما هذه الجريمة .. ما الذى أستطيع أن أؤديه لك ؟ . تفضل من هنا .. اننى لن أدعوك للدخول الى « الصالون » فقد كانت الشمس حامية طول النهار والجو فيه مازال ساخنا ... سوف نكون أفضل فى هذه « التعريشة » .. بابتست .. أحضر كأسين وزجاجة من النبيذ ذى الرغوة ، من الرف الأخير .

كان كما وصفه صاحب الفندق تماما .. قصير القامة ،بدينا مكتنز الجسم ، أحمر اللون قصير اليدين يدل مظهرهما على أنه يقضى جل وقته فى العمل ويرتدى حلة من اللون الكاكى من ذلك النوع الشائع الاستعمال فى الصيد والقنص .

وسأله ميجريه وهو يجلس فوق أحد المقاعد الحديدية :

ـ هل تعرف مسيو كليمان ؟...

ـ ليس هذا اسمه الحقيقى كما تقول الجريدة .. ان اسمه .. أظنه جريليه .. جيليه ..

ـ جاليه .. نعم .. ولكن ليس هذا بيت القصيد .. أكانت تربطك به علاقة عمل ؟.

وخيل لميجريه أن صاحبه لم يكن فى حالته الطبيعية فى ذلك الوقت وأنه كان يعانى ضيقا وارتباكا غير ظاهرين . ومهـــما يكن فان دى سان هيلير انحنى فى تلك اللحظة خارج « التعريشـــة » وصاح :

ـ ان هذا المففل بابتست لقمين بأن يحضر لنا نبيذا ممـــزوجا بالماء وأظنك تؤثر أن تتناوله من غير ماء . انه نبيذ معتق من أجود الأنواع مصنوع على طريقة الشمبانيا .. بخصوص هذا المســـيو

www.ibtesamah.com/vb

كليمان ... وأرى أن من الأفضل أن أدعوه بهذا الاسم .. ماذا أقول لك .. لو قلت اننى كنت مرتبطا معه بعلاقة عمل أكون مبالغا ... ولو قلت اننى لم أره قط فليس هذا صحيحا كذلك .

وبينما كان يتكلم استعرض ميجريه فى ذهنه استجوابا آخر ... استجواب هنرى جاليه .. كان لكل من الرجلين موقف مختلف عن الآخر فابن القتيل لم يحاول أن يبدو رقيقا ولم يظهر أى اهتمام بقرابة موقفه ... كان ينتظر الأسئلة فى شىء من الشك ويرد بعد وقت طويل منتقيا كلماته .

أما تيبورس فكان يتكلم بطلاقة ويبتسم ويشير بيديه ويسير جيئة وذهابا ويبدو حسن الأخلاق بقدر ما يستطيع .

ولكن كان يلازم كلا الرجلين الشعور بالقلق المستتر وربما الخوف من أنه قد لا يتمكن من اخفاء شىء معين .

ـ انت تعلم ... اننا نحن أصحاب القصور نستقبل كل من هب ودب ، ولست أقصد فقط المتشردين والسماسرة والبائعة الجائلين ولكن .. على كل حال لنعد الى مسيو كليمان .. هاهو ذا النبيذ .. هذا حسن يا بابتست ، يمكنك أن تنصرف .. سأحضر بعد قليل لأفحص الرشاشة .. ولكن حذار أن تقربها .

وبينما كان يتكلم فتح الزجاجة فى تؤدة وملأ الكأسين بدون أن تسقط نقطة واحدة من الرغوة .

وجملة القول أنه جاءنى منذ وقت طويل .. ولا ريب أنك تعلم أن آل سان هيلير من أقدم العائلات واننى الآن آخر هذه السلالة . على أن هذا يرجع الى معجزة عجيبة ولعلنى كنت مازلت حتى الآن كاتبا فى احدى الشركات بباريس أو بلد آخر لو لم أرث فجاة ابن خال لى اكتسب ثروة كبيرة فى آسيا .. أردت أن اقول لك أن اسمى يظهر فى دلائل النبلاء .. وقد جذب أبى النظر اليه منذ أربعين سنة . أما أنا فأنت تعرف ...

وابتسم ورشف نبيذه ذا الرغوة رشفة متلذذا بطريقة ديموقراطية وهو يلعق سقف حلقه بلسانه وانتظر حتى أفرغ ميجريه كأسه فملأه له مرة أخرى واستطرد :

www.ibtesamah.com/vb

ـ أما صاحبنا مسيو كليمان فلم أكن اعرفه حتى جاءنى ذات مرة وأطلعنى على خطابات توصية صادرة من امراء فرنسيين وأجانب ثم ذكر لى انه الممثل الرسمى للحركة الملكية فى فرنسا ... وتركته يتكلم الى أن طلب منى ألفى فرنك لخزينة الدعاية . ولما رفضت راح يتحدث عن أسرة فقيرة وعن تبرعات يجمعها لها .. ومن ألفى فرنك هبط الى مائة .. وانتهى بى الأمر الى أن أعطيته خمسين فرنكا .

ـ متى كان ذلك ؟.

ـ منذ بضعة شهور . ولا أستطيع التحديد بالدقة ... كان ذلك فى موسم الصيد ، وكنا نجتمع كل يوم فى قصر من القصور المجاورة ، وقد سمعتهم يتحدثون عن الرجل فى كل مكان تقريبا وأدركت انه متخصص فى هذا النوع من النصب والاحتيال ولكنى لم أشأ أن أقدم شكوى ضده من أجل خمسين فرنكا . نخب صحتك .. وفى اليوم الماضى جرؤ وجاءنى للمرة الثانية .. هذا هو كل ما هنالك .

ـ فى أى يوم ؟.

ـ اوه .. فى آخر الاسبوع .

ـ يوم السبت .. نعم .. وقد جاءك مرتين اذا لم أكن مخطئا .

ـ أنت بطل حقا أيها القوميسير .. صحيح أنه جاءنى مرتين مرة فى الصباح وقد رفضت استقباله .. وصادفنى مرة أخرى بعد الظهر فى حديقة القصر .

ـ هل كان يريد مالا ؟.

ـ طبعا .. ولا أدرى لماذا .. ولكن لأسباب ملكية بلا شك .. هيا ، افرغ كأسك فلا داعى لأن تترك بعض الشراب فى الزجاجة .. ولكن قل لى .. الا تظن انه انتحر .. اننى أعتقد أن السبل قد ضاقت به وأن جعبته قد فرغت .

ـ ان الرصاصة أطلقت على بعد سبعة أمتار ولم يعثر أحد على المسدس .

www.ibtesamah.com/vb

ـ في هذه الحالة طبعا .. ما رايك ؟ .. أمل احد المتشردين من و ...

ـ من الصعب التسليم بذلك ، فان الممر الذي تطل عليه نوافذ الغرفة التي ارتكبت فيها الجريمة لا يؤدي الا الى قصرك ..

فاحتج المسيو دي سان هيلير قائلا :

ـ بل الى باب مسدود ، فمنذ سنوات لم يفتح باب طريق العشب ولا أستطيع أن أقول لك أين يوجد مفتاحه .. هل لك في زجاجة اخرى ؟.

ـ لا .. شكرا .. اظن أنك لم تسمع شيئا .

ـ أسمع ماذا ؟..

ـ الرصاصة ؟. يوم السبت ليلا ؟.

ـ لا .. فأنا أذهب الى فراشي في وقت مبكر .. ولم أسمع بالجريمة الا من خادمي في اليوم التالي .

ـ ألم يخطر لك أن تطلع رجال البوليس على زيارة مسيو كليمان لك .

ـ لعمري ...

وحاول أن يضحك ليخفي ارتباكه ، وأردف :

ـ قلت لنفسي ان المسكين قد وجد جزاءه بما فيه الكفاية .. فعندما يحمل المرء اسما كاسمي لا يسره كثيرا أن يراه في الجرائد في مكان آخر غير مكان أنباء المجتمعات .

كان يلازم ميجريه هذا الشعور المبهم البغيض الملح ، والاحساس بأن كل شيء حول موت اميل جاليه كاذب ابتداء من الميت نفسه حتى صوت ابنه وضحكة تيبورس دي سان هيلير .

ـ هل نزلت عند ذلك الشهم تارديفون ؟.. اتعرف انه طباخ ممتاز وانه كان يعمل في القصور الكبرى ... لقد شق طريقه ووصل ... ألا تريد حقا كأسا أخرى .. ان هذا البستاني الغبي أفسد الرشاشة الكهربية وعندما أقبلت كنت احاول اصلاحها .. ينبغي أن يعمل المرء نفسه كل شيء في الريف ... اذا كنت ستقضي هنا اياما أخرى ايها القوميسير فتعال من وقت

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

لآخر ليلا لنتجاذب أطراف الحديث .. فالحياة أصبحت لا تطاق في الفندق مع كل هؤلاء السياح.

وشيعه حتى الباب الحديدى وتناول يدا لم تبسط اليه وشد عليها فى مودة مبالغ فيها .

وبينما كان ميجريه يقطع الطريق بمحاذاة النهر تبادر الى ذهنه خاطران أولهما أن تيبورس دى سان هيلير قد ضرب عرض الحائط بنداء المنادى وبالأهمية التى يعلقها رجال البوليس على تحركات مسيو كليمان يوم السبت الماضى وانه انتظر حتى ذهب ميجريه اليه لاستجوابه . زد على ذلك انه لم يذكر شيئا من ذلك كله الا بعد أن رأى أن محدثه على علم بزيارة مسيو كليمان له .

والخاطر الثانى هو أن تيبورس دى سان هيلير كذب كذبة على الأقل لأنه أكد له أنه رفض أن يستقبل مسيو كليمان صباح يوم السبت وانه التقى به فى الحديقة بعد الظهر على حين قابله فى الواقع فى الصباح فى حديقة القصر وتبادلا الحديث فى صالون « الفيللا » بعد الظهر .

واختتم القوميسير ملاحظاته محدثا نفسه !

ـ اذن فالباقى قد يكون كذبا هو أيضا .

وبلغ طريق العشب حيث يقوم سور مدهون بالجير يحيط بحديقة دى سان هيلير وفى آخره يقوم هيكل مبنى لم يتم اعداده ليكون ملحقا لفندق لالوار .

وكانت الأرض فى هذه الناحية قد اعشوشبت فغطتها الحشائش والأشواك وعشب الأنجرة الابيض وراحت الدبابير ترتع فيها بين رائحة وغادية ، وقامت أشجار القرو على الجانبين فملأت بالظلال ممرا ينتهى بعد مائة متر تقريبا الى باب حديدى قديم يرجع طرازه الى عهد بعيد .

ودفع الفضول ميجريه الى التقدم حتى ذلك الباب الذى لم يفتح منذ سنوات طويلة استنادا الى أقوال صاحب القصر والذى ضاع مفتاحه . وما كاد يلقى نظرة على القفل حتى لحظ أن طبقة الصدأ التى تغطيه قد خدشت فى عدة أماكن واستعان بعدسته

www.ibtesamah.com/vb

المكبرة وما كاد يفعل حتى أدرك أن مفتاحا قدادخل فى القفل حديثا وانه السبب فى احداث هذه الخدوش .

وقال يحدث نفسه :

ـ ينبغى أن تؤخذ صورة لهذا القفل غدا .

وعاد أدراجه مطرقا وهو يرسم فى ذهنه صورة جديدة لمسيو جاليه تبعا للمعلومات الجديدة التى جمعها عنه . ولكن سحنة الرجل بدلا من أن تتم وتظهر كاملة واضحة المعالم كانت تتهرب ، وبدت وقد اختلطت ملامحها الى حد أنها غدت بعيدة عن معالم البشر .

أما الصورة الوحيدة التى يملكها عنه فكانت تحل مكانها صور أخرى غير متباينة تأبى الا ان تمحى الواحدة بعد الاخرى بدلا من أن تثبت وتكون شخصية واضحة المعالم .

كان القوميسير يرى نصف الوجه والصدر النحيف الكثيف الشعر على حين الطبيب فى الساحة يرقص فى صبر نافد خلف ظهره . ولكنه كان يستعرض على الفور الزورق الأزرق الذى صنعه اميل جاليه فى سان فارجو وأجهزة الصيد المتقنة الصنع ومدام جاليه المتعالية المترفعة فى ثوبها البنفسجى اللون فى أول الأمر ثم فى ثوب الحداد فيما بعد .

كما استعرض « الدولاب » ذا المرآتين الذى كان أميل جاليه يلبس « سترته » المعوجة أمامه .. وكل هذه الخطابات المطبوعة باسم شركة نيل التى لا يعمل بها منذ سنوات طويلة والكشوف الشهرية التى يحرص على قيدها فى عناية طوال ثمانية عشر عاما بعد أن ترك مهنة البيع « بالعمولة » .

ثم تلك الأوانى المعدنية التى لاشك فى أنه كان هو نفسه يشتريها .

وقال ميجريه يحدث نفسه وهو فى طريقه :

ـ آه .. لم يعثر أحد على حقيبة « العينات » لاريب أنه وضعها فى مكان ما .

www.ibtesamah.com/vb

وكان قد توقف فى حركة آلية قبل النافذة التى أطلق الرصاص من خلالها ببضعة أمتار ولكنه لم يلق اليها نظرة واحدة . كان مضطربا بعض الشيء لأنه كان يحس فى لحظات معينة بأنه يكفى أن يقوم بمجهود صغير لكى يجمع فى صورة واحدة كل ملامح أميل جاليه ولكنه لايكاد يفعل حتى يرى فى الوقت نفسه صورة هنرى كما عرفه بملامحه غير المتناسقة وقامته المتوترة وعدم مبالاته .

وهكذا انقلبت القضية التى قال عنها المفتش جرنييه ببوليس نيفر انها قضية صغيرة مزعجة والتى استقبلها ميجريه فى شيء من الضيق فكبرت شيئا فشيئا على حين تحول الميت شيئا فشيئا حتى غدا كالبلهوان .

وأبعد ميجريه بيده مرارا دبورا راح يدور حول رأسه محدثا طنينا كطنين طيارة صغيرة وتمتم يقول فى صوت خافت :

ـ ثمانية عشر عاما .

ثمانية عشر عاما قائمة على خطابات مزورة بتوقيع نيل وبطاقات بريدية من روين وفى الوقت نفسه حياة عادية بسيطة بعيدة عن الترف والعظمة فى سان فارجو .

كان ميجريه على دراية تامة بعقلية الأشقياء والمجرمين والمحتالين وكان يعرف أن وراء كل عقلية هوى أيا كان نوعه .

وهذا ماكان يبحث عنه فعلا فى ذلك الوجه ذى اللحية والأجفان التى استحال لونها الى اللون الرصاصى والفم المتجاوز الحد .

« كان يتقن صنع أدوات الصيد ويفك الساعات القديمة » .

وعندئذ هاج ميجريه وصاح :

ـ لايكذب المرء ثمانية عشر عاما لهذا السبب .. ولا يلتزم بحياة مزدوجة من العسير تنظيمها بهذه الصورة .

ولم يكن هذا هو الأمر المزعج وحده .. فقد كانت هناك مواقف كاذبة يتمكن المرء من العمل على اطالتها بضعة شهور بل بضع سنوات .

www.ibtesamah.com/vb

ولكن ثمانية عشر عاما .. لقد كبر جاليه وشاخ وازدادت مدام جاليه سمنة ووقارا وكبر هنرى وتناول قربانه الأول وحصل على شهادة البكالوريا وبلغ مبلغ الرجال وانتقل الى باريس واتخذ له صديقة .

كل هذا واميل جاليه مازال يرسل لنفسه خطابات مزورة من شركة نيبل ويعد لنفسه مقدما بطاقات بريدية يرسلها الى زوجته ويحرص على نسخ كشوف كاذبة لطلبات لاوجود لها الا فى مخيلته .

« لقد كان يتبع نظاما خاصا » .

وخيل لميجريه أنه يسمع صوت مدام جاليه . وكان غارقا فى أفكاره التى جعلت قلبه يخفق بشدة الى درجة أنه ترك غليونه حتى انطفأ .

ـ ثمانية عشر عاما دون أن يفتضح أمره .

كان هذا أمرا لا يقبله العقل . بل ان القوميسير نفسه لم يقبله بسهولة مع أنه من رجال البوليس ومرت به مئات القضايا كل منها أشد غرابة من الأخرى . ولولا الجريمة لمات جاليه فى فراشه ميتة طبيعية بعد أن ينظم كل أوراقه ولدهش مسيو نيبل أكبر الدهش عندما يتسلم اخطارا بموت موظفه المزعوم .

كان هذا الأمر من الغرابة بحيث أن الصورة التى كونها القوميسير لنفسه انبعث منها قلق لايوصف كذلك القلق الذى تتسبب فيه بعض الظواهر التى تصدم احساسنا عن الواقع .

ومن هذه الظواهر ماظهر امامه مصادفة واتفاقا فى تلك اللحظة نفسها فقد رفع القوميسير رأسه فجأة ووقعت عيناه على نقطة أكثر سوادا فى السور الأبيض « للفيللا » مواجهة لغرفة الجريمة تماما .

وعندما اقترب من السور راى ان تلك النقطة عبارة عن فراغ بين حجرين وسعه بعضهم حديثا ليتمكن من وضع طرف حذائه لارتقاء السور .

www.ibtesamah.com/vb

كان ذلك دليلا صارخا على أن بعضهم تسلق السور من هذا الموضع مستعينا فى ذلك ببعض الأغصان المدلاة . وفى اللحظة التى هم فيها القوميسير بوضع حذائه فى ذلك الموضع ليرتقى السور بدوره تحول مرة واحدة اذ داخله احساس بأن شخصا غير عادى عند أول الممر بجوار نهر اللوار يراقبه . واستطاع أن يميز امرأة طويلة القامة قوية الجسم شقراء اللون ذات ملامح تقرب الى ملامح اليونانيين أسرعت بالمسير حالما رأته ينظر اليها .

وادرك على الفور أن هذه المرأة ماهى الا اليونور بورسانج صديقه هنرى جاليه مع انه لم يسبق له أن رآه قبل ذلك .

واسرع الخطا وبلغ « الرصيف » فى اللحظة التى اختفت فيها فى « ناصية الشارع الرئيسى » .

وقال لصاحب الفندق الذى حاول ان يعترض طريقه:

ـ فيما بعد .. فيما بعد .

وجرى بضع خطوات منتهزا فرصة أن المرأة الهاربة لاتراه وذلك حتى يقلل من المسافة التى تفصل بينهما وتأكد لديه شعوره عندئذ فهى لم تكن فقط المرأة التى تتفق سحنتها مع اسم اليونور بورسانج بل كانت صورة للمرأة التى يقع اختيار رجل مثل هنرى جاليه عليها ليتخذها صديقة له .

واذ بلغ ميجريه بدوره «ناصية» الشارع أحس بالخيبة والقهر اذ كانت قد اختفت وعبثا راح يدور بعينيه فى أرجاء الشارع وفى محل البدال ومحل الحداد القائمين أمامه . على أن اختفاءها لم يكن غير مصيبة صغيرة اذ كان يعرف أين يجدها .

www.ibtesamah.com/vb

الفصـــل الخـــامس ..

المـــــدبران ..

وفى ذلك الصباح استطاع جاويش المركز أن يرسم لنفســه فكرة مقربة عن المهمة التى تقع على عاتق رجل البوليس .

فقد صحا من نومه فى الساعة الرابعة صباحا وقطع ثلاثــين كيلو متر على دراجته البخارية تحت برد الصباح الباكر اولا ثم تحت الشمس التى أخذت تشتد حرارة مابين لحظة واخرى . وبلغ اخيرا فندق لالوار لفحص السجلات الدورية للنزلاء .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة واكثر النزلاء يتمشـــون على الشاطىء أو يستحمون فى النهر . ووقف تاجران من تجار الجياد يتبادلان الحديث فى الشرفة على حين راح صاحب الفندق يصف الموائد وصناديق الأشجار .

وساله مسيو تارديفون :

ـ الا تذهب لتحيى القوميسير ؟

وأردف يقول فى صوت خافت وفى لهجة من يفشى سرا :

ـ هو الآن فى غرفة الجريمة . لقد جاءته اوراق كثــيرة وجاءته كذلك صور من باريس .

وماهى الا دقائق قلائل حتى كان الجاويش يطرق الباب ويقول معتـــذرا :

ـ هو صاحب الفندق الذى اغراني أيها القوميسير .. عنــدما قال لى انك تقوم بفحص مكان الجريمة لم أستطع ان املك نفسى

www.ibtesamah.com/vb

انني اعلم ان لكم اساليب خاصة في باريس ويسرني ان اتلقن درسا على يديك وان اراك وانت تعمـــل اذا كان وجودي لايضايقك .

كان شابا طيبا ذا وجه مستدير متورد الوجنتين يعكس رغبته الشديدة في ان يرضي وان يخدم . وكان يحاول بقدر ما يستطيع ان ياخذ اقل مكان ممكن ولم يكن ذلك سهلا بحذائه المدبب وقبعته التي لم يعرف اين يضعها .

وكانت النافذة مفتوحة على مصراعيها وشمس الصباح تسقط اشعتها على طريق العشب بحيث بدت الغرفة في وضح النهـــار شبه معتمة . ووقف ميجريه بكميه وغليونه بين اسنانه وياقة قميصه مفكوكة وربطة عنقه غير مربوطة ، ينبعث منه شعور بالراحة كان يثير دهشة الجاويش .

ـ اجلس هنا .. هنا .. ولكن ليس هناك شيء مهـم .. كما تعـرف .

ـ انت شديد التواضع ياسيدي القوميسير .

كان الجاويش من السذاجة بحيث ان ميجريه لم يملك الا ان يحول راسه ليخفي ابتسامته . كان قد احضر بالغرفة كل مالـه علاقة بالقضية وبعد ان تاكد ان المنضدة المغطاة بمفرش هنـــدي احمر على هيئة مربعات لايمكن ان تكشف له شيئا وضع فوقها اوراقه ابتداء من تقرير الطبيب الشرعي الى صور الاماكن والقتيل التـي ارسلتها اليه ادارة الامن العام في الصباح نفسه .

واخيرا وضع صورة اميل جاليه فوق الموقد الرخامي المزدان بشمعدان من النحاس ، خاضعان للاحساس الخرافي اكثـر منه للعلمي . ولم تكن الارض مفروشة ببسط وكانت الارض المصنوعة من خشب القرو مدهونة وقد رسم عليها رجال البوليس الذين قاموا بالتحقيق المبدئي بالطباشير محددين وضع الجثة كما وجدوها .

وفي الخارج ، في طريق العشب يرتفع صخب مهوش حيوي مبعثه شدو العصافير وحفيف الاوراق وطنين الذباب وصوت الدجاج الآتي من الطريق من بعيد يتخلله في فترات متباعدة ضربات المطرقة على « سنديان » .

وكانت تتناهى اليهما احيانا اصوات مختلطة من الشرفة واحيانا صوت عربة تمر فوق الجسر المعلق .

www.ibtesamah.com/vb

ـ كل هذه أوراق !.. ماكنت أظن أبدا ..

ولكن القوميسير كان لايصغى اليه .. بل راح بكل رزانة واتزان وهو يجذب أنفاسا من غليونه يبسط فوق أرض الغرفة ، فى المكان نفسه الذى كانت عليه ساقا القتيل ، «البنطلون» الجوخ الأسود الذى يدل مظهره على أن له من العمر عشر سنوات وانه من الممكن أن يعيش عشر سنوات أخرى .

وكذلك بسط ميجريه قميصا من البركال .. ولكن المجموع لم تتخطط له صورة محدودة ومضحكة الا بعد أن وضع زوجا من الأحذية الكاوتشوك فى نهاية الساقين .

ولكن المنظر الذى طالعه لم يشبه الجثة .. بل كان أقرب الى صورة كاريكاتورية غير متوقعة حتى أن الجاويش لم يملك الا أن يغمز لميجريه ويضحك فى ارتباك .

غير أن ميجريه لم يشاركه فى الضحك وبدا عليه الاصرار والعناد فراح يمشى جيئة وذهابا فى بطء ومن غير ملل . وفحص «السترة» ولكنه بعد أن تحقق أنها لا تحمل اثرا يدل على ان الخنجر اخترقها أعادها الى المشجب واذ وجد الصدير مثقوبا عند الجيب الأيسر العلوى بسطه فوق القميص وقال فى صوت خافت :

ـ هكذا كان يرتدى ثيابه عندما قتل .

ونظر الى سورة القتيل التى التقطها مصورو البوليس القضائى وصحح عمله وهو يضيف لتمثاله العديم الادراك « ياقة » من الباغة وربطة عنق من الساتان الأسود .

ـ أرأيت اذن أيها الجاويش ؟.. انه تناول عشاءه فى الساعة الثامنة من يوم السبت فأكل بعضا من الفطائر لأنه كان يتبع نظاما خاصا ثم قرأ جريدته وهو يرتشف ماءه المعدنى طبقا لعادته . وبعد العاشرة بقليل عاد الى غرفته وخلع « سترته » محتفظا بحذائه و « ياقته » .

والواقع أن ميجريه كان يحدث نفسه ولا يعنى بتوجيه حديثه بصفة خاصة الى الجاويش الذى راح يصغى اليه باهتمام ويظن أن من واجبه أن يوافق على كلامه .

ـ أين يمكن أن يكون الخنجر فى تلك اللحظة ؟ انه خنجر مزود

www.ibtesamah.com/vb

بجهاز أمان من النوع الذى يوضع فى الجيب والذى يحمله كثير من الناس .. انتظر .

وثنى سلاح الخنجر الذى كان موضوعا فوق المنضدة مع باقى أدلة الاثبات الأخرى ودسه فى الجيب الأيسر للبنطلون الاسود .

ـ لا .. لم يكن فى هذا الجيب .

وعاد فوضع الخنجر فى الجيب الأيمن وأحس عندئذ بالرضا والارتياح وقال :

ـ هو ذلك .. خنجره فى جيبه وهو على قيد الحياة .. ولكنه مات بين الحادية عشرة ومنتصف الواحدة طبقا لتقرير الطبيب الشرعى . وهناك تراب جرى على طرف حذائه ، وهناك على سور «فيللا» تيبورس دى سان هيلير أرى آثارا تركها حذاء من النوع الذى يرتديه هو .

« أتراه خلع «سترته» ليتسلق السور ؟ لأنه ليس من نوع الرجال الذين يأخذون حريتهم حتى فى بيوتهم .. ولا ينبغى أن ننسى ذلك .

وكان ميجريه يتكلم وهو لايزال يمشى جيئة وذهابا ولا يتم جملة واحدة مما يقول ولا يمنح زميله الجالس على مقعده بلا حراك نظرة واحدة .

ـ وفى المدفأة التى رفعوا منها الوقد بسبب الصيف آثار أوراق محترقة .. دعنا نستعد الآن الحركات التى صدرت منه .. خلع سترته وحرق أوراقه ونثر رمادها بقاعدة هذا الشمعدان لأننى أرى « هبابا » فوق النحاس ثم تسلق السور المواجه بعد أن وثب من النافذة وعاد الى الغرفة من الطريق نفسه وأخيرا اخرج الخنجر من جيبه وفتحه .. ليس هذا شيئا يذكر ولكن اذا عرفنا كيف نرتب هذه الحركات وهذه الحقائق كما وقعت .. بين الحادية عشرة ومنتصف الواحدة عاد الى الغرفة من جديد ، وكانت النافذة مفتوحة واصابته رصاصة فى رأسه ليس هناك اى شك فى ذلك ، وكانت الرصاصة السابقة على طعنة الخنجر .. وقد اطلقت من الخارج . وبناء عليه فان جاليه اخذ خنجره ولم يحاول ان يخرج وهذا يدل على أن القاتل هو الذى دخل

www.ibtesamah.com/vb

لانه ليس من الممكن منازلة غريم يقف على بعد سبعة أمتار .. بل أحسن من ذلك .. لقد أطيح نصف وجه جاليه وكان جرحه يدمى ولكننا لانجد نقطة دم واحدة بجوار النافذة .. والآثار التى خلفها وراءه تدل على أنه ، وهو جريح لم يتنقل فى دائرة قطرها أكثر من مترين . وهناك خدش شديد فى قبضة يده اليسرى . هذا هو تقرير الطبيب الذى قام بتشريح الجثة .. اخذ صاحبنا اذن الخنجر فى يده اليسرى ولكن القاتل أمسك يده ولواها ليحول الخنجر الى صدره . وغاص النصل فى قلبه فوقع مرة واحدة ، وأطلق الخنجر من يده ولكن القاتل لم يقلق واثقامن أنهم لن يعثروا على آثاربصمات .. بقيت حافظة جاليه فى جيبه .. لم يسرق منها شيء ومع ذلك فان ادارة تحقيق الشخصية بالقسم القضائى تدعى أن هناك — وبخاصة ، على الحقيبة — آثار ذرات رفيعة جدا من الكاوتشوك كما لو أن بعضهم استخدم قفازا .

وهتف الجاويش فى صوت رقيق :

— هذا غريب .. هذا غريب .

ومع ذلك فما كان فى مقدوره أن يعيد ربع ماسمعه .

— وأغرب مافى الأمر أنهم — فيما عدا آثار الكاوتشوك — وجدوا قليلا من غبار الصدأ .

— ربما كان بالمسدس صدأ .

سكت ميجريه وذهب فوقف أمام النافذة . وبدا فى الركن المضيء بقميصه الأبيض الفضفاض وكميه المنتفخين وتصاعد فوق راسه خيط دقيق من الدخان الأزرق .

وبقى الجاويش مكانه لايجرؤ على التحرك وعلى تغيير وضع ساقيه . واخذ يقول فى شيء من الخجل :

— الا تأتى لرؤية المتشردين ؟.

— أما زالوا هناك ؟. اخل سبيلهم .

وعاد ميجريه الى المنضدة وهو يدعك شعر راسه الى الخلف وداعب الملف الوردى وغير موضع الصور ثم تحول الى الجاويش وقال :

— هل معك دراجتك ؟.. اذهب الى المحطة واسأل فى اى

www.ibtesamah.com/vb

ساعة من يوم السبت أخذ هنرى جاليه القطار الى باريس .. هو شاب فى الخامسة والعشرين من عمره طويل القامة نحيف الجسم شاحب اللون يرتدى حلة سوداء قاتمة ويضع نظارة « قشرة »على عينيه . وبهذه المناسبة ، الم تسمع عن شخص اسمه المسيو يعقوب ؟.

فأجابه الجاويش :

ـ نعم . لم أسمع الا عن يعقوب الذى جاء ذكره فى الانجيل .

كانت ثياب اميل جاليه لاتزال مبسوطة فوق الأرض كرسم كاريكاتورى للجثة . واذ هم الجاويش بالخروج طرق الباب وارتفع صوت مسيو تارديفون وهو يقول :

ـ زيارة لك ايها القوميسير .. سيدة تدعى بورسانج تريد أن تتحدث اليك دقيقتين .

كان الجاويش يؤثر البقاء ولكن زميله لم يترك له أى فرصة . وبعد أن القى ميجريه نظرة راضية فى الغرفة قال :

ـ دعها تدخل .

وانحنى فوق المانيكان الكاريكاتورى وتردد ثم ابتسم وغرز الخنجر فى مكان القلب ثم كوم التبغ باصبعه فى غليونه .

***

كانت اليوتور بورسانج قد ارتدت « فستانا محتشما » من قطعتين جعلها تبدو أكبر من سنها بخمس سنوات فبدت كما لو كانت فى الخامسة والثلاثين مع انها لم تتجاوز الثلاثين بعد .

كان جوربها مشدودا وحذاؤها سليما وشعرها الأسمر منسقا بعناية تامة يضمه مشبك من القش الأبيض ، وكانت تضع فى يدها قفازا .

وكان ميجريه قد ارتد الى ركن مظلم يدفعه الفضول الى أن يرى كيف ستتصرف وعندما تركها مسيو تارديفون بعتبة الباب ترددت لحظة وبدت عليها الحيرة للتباين الواضح بين النور الساطع لخارج النافذة والعتمة البسيطة التى تسود الغرفة

وقالت أخيرا وهى تتقدم بضع خطوات وتتحول الى الشخص الذى ضمنت وجوده :

www.ibtesamah.com/vb

ـ القوميسير ميجريه ؟.. التمس معذرتك لازعاجى اياك ياسيدى .

وتقدم منها وظهر فى دائرة النور . وعندما اغلق الباب قال :

ـ تفضلى بالجلوس .

وظل واقفا من غير ان يقدم لها اية مساعدة .

ـ لاريب أن هنرى قد حدثك عنى .. ولما كنت فى سانسر فقد فكرت فى زيارتك .

واستمر ميجريه محتفظا بصمته بدون ان يصل الى ازعاجها كانت تتكلم فى رزانة ووقار ذكره بمدام جاليه .

ولكن مدام جاليه أكثر شبابا وأكثر جمالا مما كانت عليه أم هنرى عندما كانت فى مثل سنها بلاشك ولكنها تمت مثلها الى الطبقة الاجتماعية نفسها .

ـ ينبغى أن تفهم موقفى .. بعد هذا .. هذه المأساة الفظيعة اردت بعدها ان اغادر سانسر ولكن هنرى نصحنى فى خطابه بالبقاء وقد رأيتك مرتين أو ثلاثا .. وعلمت من اهالى البلد انه عهد اليك بالبحث عن القاتل فصممت على المجىء اليك لأسالك اذا كنت قد اهتديت الى شىء .. ان موقفى دقيق نظرا الى أنه لاصلة لى رسميا بهنرى ولا بعائلته .

وكان حديثها هذا يدل على انه جاء مفو الخاطر . وكانت الكلمات تتدفق من شفتيها فى غير عجلة وبدون جهد .

ووقعت عيناها مرارا كثيرة على الخنجر المغروز بتلك الصورة المضحكة فى الصدير المبسوط فوق الأرض ولكنها لم تجفل .

وقال ميجريه فجأة وفى قسوة مقصودة :

ـ هل كلفك صديقك استدراجى ؟.

ـ انه لم يكلفنى شيئا على الاطلاق .. انه بالغ الحزن للمصاب الذى الم به .. وانه لمن الفظاعة اننى لا أستطيع أن اقف الى جواره وان اشد ازره فى اثناء الجنازة .

ـ هل تعرفينه منذ وقت طويل ؟.

وبدا انها لم تلحظ أن الحديث يتحول الى استجواب لها فقد بقى صوتها كما هو واجابت باللهجة نفسها :

www.ibtesamah.com/vb

ـ منذ ثلاث سنوات .. اننى فى الثلاثين وهنرى فى الخامسة والعشرين فقط .. وانا ارملة .

ـ هل انت من مواليد باريس ؟.

ـ بل من مواليد ليل . كان ابى رئيس الحسابات باحدى شركات النسيج .. وعندما بلغت العشرين تزوجت بمهندس من مهندسى النسيج صرعته احدى الآلات ولم تمض سنة على زواجنا .. وكان ينبغى أن أحصل على معاش من الشركة التى كان يعمل بها ولكنها ادعت أن الحادث وقع بسبب اهماله وانها غير مسئولة عن مصرعه وعندئذ وجب علىّ أن اكسب قوت يومى ، ولما كنت لا اريد أن اشتغل فى مدينة يعرفنى فيها الجميع فقد انتقلت الى باريس .. والتحقت بوظيفة صرافة فى محل تجارى بشارع ريومور .

وكنت قد اقمت قضية على شركة النسيج .. وطالت الاجراءات أمام المحاكم .

ومنذ سنتين فقط حكم لصالحى واذ غدوت فى مأمن من الفاقة والعوز تركت العمل .

ـ اذن فأنت كنت صرافة عندما تعرفت بهنرى جاليه ؟.

ـ اجل . كان يأتى كثيرا لمقابلة صاحب المحل الذى أعمل به فى عمل خاص بمصرف سوفرينوس الذى يعمل به .

ـ الم يدر بينكما الحديث عن الزواج قط ؟.

ـ تحدثنا عنه فى البداية . ولكن لو أننى تزوجت قبل صدور الحكم فى القضية لكان موقفى أمام المحاكم بالنسبة للمعاش موقفا هزيلا .

ـ وبذلك غدوت صديقة جاليه ؟.

ـ لقد توطدت بيننا أواصر الصداقة ، وكل منا يرى الآخر منذ ثلاث سنوات . وهو يتناول طعامه معى كل يوم .

ـ ولكنه مع ذلك لايقيم معك فى شارع تورين .

ـ هذا يرجع الى عائلته فهم أناس متزمتون ذوو مبادىء صارمة مثلهم فى ذلك مثل أهلى تماما . وقد آثر هنرى أن يتحاشى الجدال مع اهله فتركهم على جهل بصداقتنا . وقد اتفقنا على أن نتزوج ونقيم فى الجنوب بعد أن تزول جميع العقبات وبعد أن نجمع ثروة تمكننا من العيش فى رغد وبحبوحة .

www.ibtesamah.com/vb

لم تكن تشعر بأى حرج أو ارتباك أمام أشد الأسئلة تطفلا وفى لحظة ما رأت نظرة القوميسير تهبط الى ساقيها فخفضت ثوبها فى بساطة وفى غير تكلف .

وقال ميجريه :

ـ أرانى مضطرا الى أن أطلب منك بعض الايضاحات .. قلت أن هنرى يتناول طعامه فى بيتك فهل يشترك فى النفقات ؟.

ـ هذا أمر عادى فأنا أدون كل ما انفقه على الطعام .

ـ انك تحدثت عن الاقامة فى الجنوب فهل استطاع هنرى أن يقتصد شيئا ؟.

ـ انه فعل مثلى تماما . ولعلك لحظت انه ضعيف البنية وقد نصحه الأطباء بالاقامة فى الهواء الطلق . ولكن المرء لا يمكنه أن يعيش فى الهواء الطلق مادام مرغما على كسب قوته يوما بعد يوم أنا أيضا أحب الريف ، ولهذا السبب فنحن نعيش عيشة بسيطة . قلت لك أن هنرى موظف فى مصرف سوفرينوس ، وهو مصرف صغير يقوم بالمضاربات لحساب العملاء . كنا نستطيع الاقتصاد فى المعيشة من ناحية ونستطيع بحكم وظيفته المضاربة فى البورصة كلما سنحت الفرصة لذلك من ناحية أخرى .

ـ كل منكما لحسابه الخاص ؟.

ـ طبعا فلا يمكننا التكهن بالظروف .. ولا يدرى أحد مايخبئه الغد .

ـ وماهو رأس المال الذى كونتماه بهذه الطريقة ؟.

ـ من الصعب تحديد ذلك فقد اشترينا بالمال أسهما تتغير قيمتها من وقت الى آخر .. ان عندى مبلغا يتردد بين اربعين وخمسين الف فرنك .

ـ وجاليه ؟.

ـ أكثر منى فهو وان لم يجرؤ على المضاربة بأموالى اشفاقا من أن الومه فقد كان يجازف بأمواله . وقد أصبح يملك فى الوقت الحالى مائة ألف فرنك .

ـ وماهو المبلغ الذى اعتزمتما اقتصاده لتتمكنا من العيش فى الريف ؟.

ـ خمسمائة الف فرنك .. كنا ننوى أن نعمل ثلاث سنوات أخرى .

www.ibtesamah.com/vb

نظر ميجريه اليها فى شىء من الاعجاب .. وان كان اعجابا يشوبه الاشمئزاز .

فقد كانت فى الثلاثين على حين كان هنرى فى الخامسة والعشرين .. كانا متحابين أو على الأقل صمم كل منهما على أن يربط حياته بحياة الآخر . اننى اتيت فى العشرين من يونية وفى نيتى أن أبقى شهرا .

ـ لماذا لم تنزلى فى فندق لالوار أو فندق لاكومرس ؟.

ـ لغلو المعيشة فيهما .. اننى لا أدفع فى بنسيون جرمان القائم فى آخر القرية أكثر من ٢٢ فرنكا فى اليوم .

ـ وجاء هنرى فى الخامس والعشرين ؟. فى اى ساعة ؟.

ـ انه لايستطيع التحرر من عمله الا يومى السبت والأحد . وهناك اتفاق على أن يقضى يوم الأحد فى سان فارجو . وقد جاء صباح يوم السبت وغادر سانسر فى مساء اليوم نفسه فى آخر قطار .

ـ فى اى ساعة ؟.

ـ فى الحادية عشرة والدقيقة الثانية والثلاثين . وقد رافقته الى المحطة .

ـ هل كنت تعلمين أن اباه موجود هنا ؟.

ـ قال لى هنرى انه التقى به هنا . كان محنقا فى بادىء الأمر لأنه اعتقد أن أباه لم يأت الى سانسر الا للتجسس علينا . ولم يكن هنرى يريد أن يتدخل أهله فى شئوننا .

ـ هل يجهل آل جاليه قصة مائة الف الفرنك .

ـ طبعا فان هنرى راشد .. وله الحق فى أن يعيش كما يحلو له .

ـ بأى صيغة كان صديقك يتحدث عن أبيه عادة ؟.

ـ كان يحقد عليه لعدم طموحه .. كان يقول ان من نكد الطالع أن يستمر أبوه وهو فى مثل هذه السن فى بيع مايسميه «حدايده» ولكنه كان شديد الاحترام لوالدته ولا سيما أمه .

ـ هل كان يجهل اذن أن اميل جاليه لم يكن الا نصابا فى الواقع ؟..

ـ نصاب ؟.. هو ؟..

www.ibtesamah.com/vb

ـ وانه لم يعد يهتم « بحدايده » منذ ثمانية عشر عاما .
ـ هل هذا صحيح ؟.
هل كانت تقوم بدور وهى تحدق بالنظر الى التمثال الكاريكاتورى فى اعجاب ؟.
ـ اننى لا أستطيع أن أصدق .. هو .. بميوله وعاداته وثيابه المضحكة وحركاته التى تشبه حركات المتقاعدين الفقراء !.
ـ ماذا فعلت بعد ظهر يوم السبت ؟.
ـ مشينا فى الخارج أنا وهنرى .. وعندما غادرنى ليذهب الى فندق لاكومرس التقى بأبيه .. وتقابلنا فى الساعة الثامنة مساء ومشينا من جديد على الضفة الآخرى من النهر حتى حان موعد انطلاق القطار .
ـ ألم تمرا بالفندق ؟.
ـ بل رأينا من الأوفق أن نتجنب المرور أمامه .
ـ اذن فأنت قد عدت وحدك من المحطة .. هل اجتزت الجسر ؟.
ـ اجل . وأخذت شمالى على الفور لأعود الى بنسيون جرمان فأنا لا أحب أن أجول وحدى فى الليل .
ـ هل تعرفين تيبورس دى سان هيلير ؟.
ـ من هو ؟.. اننى لم أسمع بهذا الاسم من قبل .. آمل ايها القوميسير ألا ترقى شبهاتك الى هنرى .
وانتعش وجهها وامتلأ بالحيوية ولكنها ظلت محتفظة برباطة جأشها . اذا كنت قد أتيت لرؤيتك فذلك لأننى اعرفه .. لقد كان مريضا دائما وتطبع بطابع الشك والارتياب .. وقد نبقى ساعات طويلة من غير أن نتبادل كلمة واحدة . واذا كان قد التقى بأبيه هنا فقد كان ذلك محض مصادفة .. ولكنها مصادفة اعرف جيدا أنها قد تبدو غريبة وتدعو الى الشك . وهو متكبر الى حد انه لا يفكر فى الدفاع عن نفسه . اننى لا أعلم ماذا قال لك . ولكن هل اجاب عن أسئلتك ؟. يمكننى أنا أن اقسم لك انه لم يتركنى منذ الساعة الثامنة مساء حتى اللحظة التى استقل فيها القطار . كان عصبيا شديد الانفعال ، أشد ما يخشاه هو أن تقف أمه على صداقته لى لأنه يحبها حبا جما ويشفق أن تحاول أن تصرفه عنى .

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

وكل ماتمناه هو ان أعلم في أسرع وقت ممكن ان القاتل قد القى القبض عليه حتى اطمئن ويطمئن هنري فهو من الذكاء بحيث يدرك ان لقاءه مع ابيه في مثل هذه الظروف لابد ان يولد شكا مروعا .

أخذ ميجريه ينظر اليها في اعجاب وراح يتساءل .. لماذا لم يؤثر فيه دفاعا هذا الذي تستحق عليه التقدير على كل حال .

وبقيت اليونور رابطة الجأش حتى وهي تنطق بكلماتها الأخيرة في شيء من الانفعال . ودبر ميجريه أمره بحيث يكشف عن صورة كبيرة التقطتها ادارة تحقيق الشخصية للجثة كما عثروا عليها . والقت اليونور عليها نظرة سريعة عادية ولكن لم يبد عليها انها تأثرت اي تأثر . وقالت تساله :

ـ ألم تعثر على شيء ؟ .

ـ هل تعرفين مسيو يعقوب ؟ .

ورفعت عينيها اليه كما لو كانت تدعوه ليقرأ فيهما الصدق والاخلاص وقالت :

ـ انني لا اعرف صاحب هذا الاسم . من هو ؟ .. هل هو القاتل ؟ .

فقال وهو يسير نحو الباب :

ـ ربما .

وخرجت اليونور بورسانج تماما كما اقبلت وقالت وهي بالباب :

ـ هل تسمح ان آتي من وقت لآخر لاستقي الانباء أيها القوميسير ؟ .

ـ كما تشائين .

وكان الجاويش ينتظر في الخارج في صبر نافد .. وعندما اختفت الزائرة القى نظرة متسائلة الى المفتش ولكن هذا الاخير سأله قائلا :

ـ ماذا قالوا لك في المحطة ؟ .

ـ ركب الشاب القطار المنطلق الى باريس في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثانية والثلاثين . وكانت معه تذكرة عودة بالدرجة الثالثة .

غمغم القوميسير في صوت حالم :

www.ibtesamah.com/vb

ـ وقد ارتكبت الجريمة بين الحادية عشرة ومنتصف الساعة الواحدة ... ان الطريق من هنا الى تراسي سانسر يقطعه المرء في عشر دقائق اذا سار على عجل . وقد ضرب القاتل ضربته بين الحادية عشرة والحادية عشرة والدقيقة العشرين ... فاذا كان قد قطع المسافة من هنا حتى المحطة في عشر دقائق فهو قد استطاع أن يقطعها في عشر دقائق عائدا من المحطة الى هنـــا .. وفي الامكان ان يكون جاليه قد قتل فيما بين الثانيـــة عشرة الا ربعـــا وبين الثانية عشرة والنصف وأن يكون قاتله قد عاد من المحطة .

« ولكن هناك مسألة الباب ... »

« ثم لماذا ذهب اميل جاليه الى السور وماذا فعل فوقه ؟ »

جلس الجاويش في المكان نفسه الذي كان يجلس فيـــه وراح يهز رأسه موافقا وهو ينتظر بقية الحديث ... ولكن لم تكن هناك بقية اذ قال ميجريه :

ـ هلم بنا نتناول بعض المرطبات .

الفصل السادس

موعد فوق السور

ـ ألم تجد شيئا ؟.

ـ « .. تافه » .

ـ وما هي الكلمة التي ذكرتها لي منذ لحظة ؟.

ـ إجراءات ... أعتقد ذلك على الأقل فالتاء ناقصة .. وقـــد تكون إجراءاتنا او إجراءاتكم .

تنهد ميجريه وهز كتفيه وغادر الغرفة المعتدلة الجـــو حيث يعمل فيها منذ الصباح شاب طويل القامة نحيف الجسم أشـــقر

www.ibtesamah.com/vb

الشعر ذو وجه ملىء بالغضون ويتسم بذلك البرود المعروف عن أهل الشمال كان يجلس الى المنضدة ويعكف على عمل كان يدعو أشد النساك الى اليأس والقنوط .

كان يدعى جوزيف مويرز وتدل لهجته على أنه من أهالى مقاطعة الفلامندر .

كان موظفا فى ادارة تحقيق الشخصية بالبوليس القضائى . وقد أقبل الى سانسر بناء على طلب ميجريه ونزل فى غرفة القتيل حيث جمع معداته ومن بينها موقد غريب يعمل بالكحول .

ومنذ الساعة السابعة وهو لا يرفع رأسه عن عمله الا اذا دخل القوميسير فجأة أو اذا اطل برأسه من النافذة وهو فى طريق العشب ويسأل

ـ الم تجد شيئا آخر ؟

ـ وانى انذرك .

ـ ماذا ؟ ..

ـ وجدت كلمتى « وانى انذرك » ... وان كانت الكلمة الأخيرة تنقصها الكاف .

وكان قد بسط فوق المنضدة الواحا من الزجاج الرفيع يظن من يراها انها من الورق كان يدهنها من وقت لآخر بصمغ سائل ويلتقط بعض القصاصات المحترقة فيضعها فوقها .

وكانت أمامه حقيبة عبارة عن معمل كامل متنقل . وكانت اكبر القصاصات حجما لايتجاوز طولها سبعة او ثمانية سنتيمترات .. اما أصغرها فكانت غبارا ..

تافه .. اجراءات .. وانى انذرك .

كانت هذه هى كل الكلمات التى عثر عليها بعد عمل متواصل استمر ساعتين . ومع ذلك فقد بقى هادئا على عكس ميجريه لا يظهر عليه أى ضيق اذا خطر له أنه لم يفحص غير جزء صغير جدا مما تحويه المدفأة .

وكانت هناك ذبابة كبيرة تطن وتدور حول راسه . وقد حطت على جبينه ثلاث مرات ولكنه لم يأت بأى حركة ليطردها عنه بل لعله لم يحس بها على الاطلاق .

وقال يخاطب ميجريه :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ان ما يضايقنى هو انك تتسبب فى حدوث تيار فى كل مرة تدخل فيها من الباب ... وقد أضعت منى بعضا من الرماد بهذه الطريقة .

ـ حسنا ... سوف أدخل من النافذة اذن .

لم يحتد فى رده . بل انه نفذ قوله فعلا . وكانت الملفات لا تزال فى مكانها بالغرفة التى اختارها ميجريه لتكون مكتبا له . وكانت الثياب الملقاة فوق الأرض لا تزال كما هى فى موضعها لم تمس ، كما كان الخنجر لا يزال مغروزا فى موضع القلب .

كان القوميسير شديد اللهفة لمعرفة نتيجة الاختبار الذى اصدر اوامره للقيام به وفى انتظار ذلك لم يكن يستقر فى مكان .

ومرت به ربع ساعة وهو يسير فى طريق العشب مطرقا ويداه معقودتان خلف ظهره . ووثب من النافذة اخيرا الى الداخل بعد أن كادت الشمس الحامية تسلقه . وجفف عرقه وزمجر قائلا :

ـ ان الوقت يمر سريعا دون أن نصل الى نتيجة .

هل سمعه مويرز ؟ لم يظهر عليه ما يدل على ذلك . واذا كان قد سمعه فانه لم يرفع رأسه عن الواحه الزجاجية التى تغطيها بقع سوداء غير متناسقة .

وكان ميجريه لا يستقر فى مكان فلم يكن هناك ما يعمله اوعلى وجه أصح كان يحاول الا يفعل شيئا قبل أن يعرف نتيجة الأوراق التى احرقت ليلة الجريمة .

وبينما كان يسير جيئة وذهابا فى الطريق الذى تحف به الأشجار والأغصان وتتراقص فيه الظلال والأضواء على شخصه المتحرك كان لا ينفك يردد فى ذهنه الأفكار نفسها .

ـ كان فى مقدور هنرى واليونور بورسانج قتل اميل جاليه قبل أن يذهبا الى المحطة ... بل لعل اليونور عادت وحدها لقتله بعد رحيل صديقها .. ثم هناك هذا السور وأخيرا ذلك المفتاح .. وهناك فوق ذلك مسيو يعقوب الذى عمد جاليه الى اخفاء خطاباته بذلك الحرص البالغ .

وذهب مرارا ليفحص القفل الحديدى ، ولكنه كان يعود دائما بالنتيجة نفسها . وبينما هو يمر أخيرا بالمكان الذى تسلق منه

www.ibtesamah.com/vb

أميل جاليه السور عزم على شيء فجأة فخلع « سترته » ووضع قدمه الايمن فى اول فراغ بين الأحجار .

كان يزن مائة كيلو ومع ذلك لم يشعر بأى مشقة فى التعلق بالأغصان المدلاة . وما أن امسك بها حتى كان التسلق مجرد لعبة بالنسبة له .

وكان السور مبنيا من الحجر الدبش تغطيه طبقة من « المونة » والجير وتنتهى قمته بصف من الطوب الأحمر نبتت فوقه أعشاب وطحالب قصيرة .

وتبين ميجريه من مكانه فى وضوح موبرز وهو عاكف على فك رموزه بعدسته المكبرة . وصاح :

ـ هل من جديد ؟.

ـ من ونقطة .

ولم يكن فوق راسه اوراق شجرة قرو ولكن أغصان شجرة كان ضخمة يقوم جذعها داخل السور .

واضطر أن ينحنى اذ لم يكن السور عريضا وكان يخشى أن يفقد توازنه . وفحص الطحلب على يمينه وعلى يساره ثم هتف :

ـ عجبا .. عجبا .

لم يكن الكشف هائلا .. فقد لحظ أن الطحلب يبدو كما لو كان بعضهم قد داس عليه بقدميه ، بل أن بعضا منه انتزع من مكانه تماما فى الموضع الذى بدت تحته الخدوش فوق السور ولم يكن هناك آثار أخرى فى اى مكان آخر .

وكان الطحلب هشا . وقد تأكد هو نفسه من ذلك . وأدرك أن أميل جاليه لم يتنقل فوق السور وانه لم يقطع ولا مترا واحدا فى اى ناحية من الناحيتين .

وقال يحدث نفسه :

ـ بقى أن نعرف اذا كان قد هبط داخل الحديقة .

لم يكن ذلك المكان من الحديقة اذا اردنا أن نتوخى الدقة . كان عبارة عن فراغ تحيط به أشجار كثيرة تخفيه عن العيان ، ولا ريب أن هذا هو السبب نفسه الذى دفع صاحب القصر الى أن يتخذه مخزنا للمهملات .

فعلى بعد عشرة أمتار من ميجريه تكدست براميل فارغة نزعت

www.ibtesamah.com/vb

غطيانها وصناديق قديمة وزجاجات كانت تحتوى على أدوية مختلفة ومنتجات كيمائية ومحصدة غير صالحة للاستعمال وادوات علاها الصدأ وربط كثيرة من اعداد قديمة من جريدة هزلية بللها المطر وجففتها الشمس فاصفر لونها وتلوثت بالطين .

وقبل أن يهبط ميجريه من فوق السور تأكد من انه لا توجد أية آثار تدل على أن جاليه قد هبط الى هذه الناحية وزيادة منه فى الحرص آثر الا يترك خلفه آثارا ما فوثب الى الأرض ، وكان المكان عاليا بعض الشيء فهبط على أربع .

ولم ير من فيللا تيبورس دى سان هيلير غير بضع نقط مضاءة من خلال أغصان الشجر . وسمع صوت موتور يدور وكان يعرف منذ الصباح أن ذلك الموتور يستخدم فى رفع المياه من البئر الى صهاريج القصر .

وكان المكان ، بسبب البقايا والمهملات المكدسة غنيا بالذباب واضطر القوميسير أن يبعدها بيديه من لحظة لأخرى فى غيظ .

ـ لنفحص السور أولا .

وكان هذا الفحص سهلا . فقد طلى السور من الداخل ايضا بالجير . ولكن لم يكن هناك اى اثر يدل على أن جاليه قد هبط الى داخل السور وكذلك لم يكن هناك اى اثر لأقدام ما فى دائرة قطرها عشرة أقدام .

ولكن ، على العكس من ذلك ، وعلى مقربة من البراميل الفارغة والزجاجات القديمة لاحظ القوميسير أن برميلا وضع على مسافة متر من السور تقريبا . ووثب ميجريه فوقه ورأى أن رأسه ارتفع عن السور قليلا ، على بعد عشرة أمتار ونصف بالتدقيق من المكان الذى وقف جاليه فيه .

ومن مكانه هذا ايضا رأى مويرز يعمل بلا انقطاع وبدون أن يتوقف حتى ليجفف عرقه .

ـ ألم تجد شيئا آخر ؟

ـ لكينيانكور ... ولكننى اعتقد أننى قد اهتدى الى جملة لا بأس بها .

ولم يكن الطحلب فوق السور . فى الموضع نفسه أمام البراميل منزوعا ولكنه كان محطما كما لو كان بعضهم اتكأ بذراعيه عليه .

www.ibtesamah.com/vb

وقام ميجريه بالتجربة فاتكأ بذراعيه على موضع آخر وحصل على نتيجة مشابهة .

ـ هذا يدل على أن اميل جاليه تسلق السور من الناحية الأخرى ولم يهبط الى الداخل .. وأن رجلا أقبل من داخل القصر ووقف فوق هذا البرميل . ولو كان الذين أحدثوا هذه الآثار زوجا من العشاق لبدا ذلك مفهوما وخاصة اذا كان أحدهما قد نقل البرميل الى حيث كان يقف زميله . ولكن الثابت قطعا أن الموضوع يبعد كل البعد عن موعد غرامى فأحد الشخصين كان من غير شك اميل جاليه الذى خلع « سترته » ليتسلق السور ، وهى رياضة لم تكن محببة الى قلبه .. أفيكون الشخص الآخر تيبورس دى سان هيلير ؟.. ان الرجلين قد التقيا مرتين قبل ذلك . المرة الأولى فى الصباح والمرة الثانية بعد الظهر . ولم ينكر سان هيلير ذلك ، وليس من المعقول ان يستخدما هذه الوسيلة الغريبة للقاء مرة ثالثة فى الظلام . ولقاء غريب .. كل منهما على بعد عشرة أمتار من الآخر .. ما كان فى مقدور احدهما أن يسمع الآخر من غير ان يثيرا الانتباه اليهما . وصاح يقول فى صوت عال :

ـ الا اذا كانا قد أقبلا كل على حدة .. واذا كان أحدهما قد سبق الآخر ؟... ولكن من من الاثنين سبق الآخر فى تسلق السور ؟.. وهل التقى الرجلان ؟ من الموضع الذى به البرميل حتى غرفة جاليه كانت المسافة سبعة أمتار تقريبا ... اى المسافة نفسها التى انطلقت منها الرصاصة .

وتحول ميجريه خلفه وما كاد يفعل حتى راى البستانى يرقبه فى استغراب .

وخاطبه القوميسير قائلا :

ـ آه ... أهذا أنت ؟.. أين سيدك ؟.

ـ لقد خرج للصيد .

ـ انت تعرف اننى من رجال البوليس .. أريد أن أخرج من هنا من غير أن اتسلق السور .. فهل يمكنك أن تفتح الباب الذى يفضى الى طريق العشب ؟.

فاكتفى البستانى بأن أجاب وهو يتقدم نحو الباب :

ـ هذا أمر يسير .

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل معك المفتاح ؟.
ـ لا . ولكنك سوف ترى .
وعندما بلغ الباب وضـــع يده بدون تردد فى فراغ قائم بين حجرين ولكنه لم يلبث أن أخرجها وهو يقول دهشا :
ـ عجبا ...
ـ ما الخبر ؟ .
ـ لا أجد المفتاح ... ومع ذلك فقد وضعته أنا نفسى فى العام الماضى بعد أن أخرجنا منه أشجار الفرو الثلاثة التى اقتلعناها.
ـ وهل يعرف سيدك هذا ؟.
ـ طبعا .
ـ ألا تذكر أنك رأيته يخرج من هذا الباب ؟.
ـ انه لم يفعل ذلك منذ العام الماضى .

صورة أخرى للحقائق بدأت ترتسم اوتوماتيكيا فى ذهن القوميسير تيبورس دى سان هيلير واقف فوق البرميل يطلق الرصـــاص على جاليه ثم يخرج من الباب الحـديدى ويثب من النـافذة الى غرفة ضحيته .

ولكن لم يكن هذا معقول فاذا فرضنا جدلا أن القفل الذى علاه الصدأ انفتح على الفور فقد كان لابد له من ثلاث دقائق على الأقل لاجتياز الطريق الذى يفصل بين الباب والنافذة . وفى اثناء هذه المدة بقى اميل جاليه واقفا وقد اطيح نصف وجهه ومن غير أن يصرخ أو أن يقع أخرج خنجره من جيبه ليواجه غريمه المحتمل .

كان هذا يبدو زائفا بعيدا عن الواقع .. كانت هذه النظرية تبدو فى صوت مسموع وكانت هى النظرية الوحيدة التى تتفق منطقيا مع الدلائل الملموسة . كان هناك رجل خلف السـور على كل حال . كانت هذه حقيقة ثابتة لايتطرق اليها الشك .. ولكن لم يكن هناك ما يؤكد أن ذلك الرجل كان هو تيبورس دى سان هيلير نفسه ما عدا المفتاح الضائع كما لم يكن هناك ما يؤكد ان ذلك الرجل كان من الناحية الأخرى للسور .

ومن ناحية أخرى كان فى سانسر ، فى ذلك الوقت شخصان آخران قريبا الصلة باميل جاليه فى امكانهما الافادة من موته ،

www.ibtesamah.com/vb

لم يكن هناك ما يدل على انهما وضعا اقدامهما فى طريق العشب ... وهذان الشخصان هما هنرى جاليه واليونور بورسانج .

ورأى مويرز ينحنى من النافذة وسمعه يصيح :

ـ ايها القوميسير ...

ـ هل من جديد ؟.

ولكن الشاب كان قد اختفى داخل الغرفة .

وقبل أن يتحول القوميسير ليجتاز الحديقة نحو الباب الآخر دفع الباب الحديدى فانفتح على غير انتظار . وهتف البستانى وهو ينحنى نحو القفل :

ـ هذا غريب .. انه غير مغلق .. اليس هذا غريبا ؟.

واوشك ميجريه ان يطلب منه الا يذكر لسان هيلين شيئا عن زيارته ولكنه بينما كان يحدق بالنظر الى الرجل رأى الغباء مطبوعا على وجهه فلم يشأ ان يزيد الامور تعقيدا .

وقال بعد ثوان مخاطبا مويرز :

ـ لماذا دعوتنى ؟.

وكان هذا الاخير قد اشعل شمعة ونظر من خلال لوحة زجاجية مغطاة كلها تقريبا بالسواد وقال وهو يلقى برأسه الى الخلف فى ارتياح لينظر الى نتيجة عمله :

ـ هل تعرف شخصا اسمه مسيو يعقوب ؟.

ـ نعم .. ما الخبر ؟.

ـ لا شىء .. احدى الرسائل المحترقة كانت بامضاء مسيو يعقوب .

ـ أهذا كل شىء ؟.

ـ تقريبا ... كانت مكتوبة على ورقة ذات مربعات انتزعت من «بلوكنوت» عادى ولم أجد بها غير بضع كلمات «حتما» .. اعتقد ذلك على الاقل لان الحرف الاخير ناقص .. و « يوم الاثنين » .

انتظر ميجريه البقية مقطب الجبين وهو يضغط على مبسمه باسنانه :

ـ وبعد ؟.

ـ هناك كلمة « سجن » وموضوع تحتها خطان ... وهناك

www.ibtesamah.com/vb

أيضا « اوراقا مالية » واخيرا العدد « ٧٠٠٠٠٠ » .

ـ اليس هناك اى عنوان ؟.

ـ ذكرته لك منذ لحظات .. « كلينيانكور » .. ومما يؤسف له حقا اننى عاجز عن ترتيب وضع هذه الكلمات .

ـ والخط .

ـ ليس هناك اى خط .. فالرسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة .

وكان مسيو تارديفون قد اعتاد أن يقوم هو نفسه على خدمة ميجريه . وكان يفعل ذلك فى تكتم وحرص وفى شىء من الالفة فى الوقت نفسه .

وهتف وهو يطرق الباب :

ـ برقية لك أيها القوميسير .

وكان يود لو أن يدخل الغرفة حيث يثير حيرته العمل الذى يقوم به مويرز ولكنه عندما رأى أن القوميسير يهم باغلاق الباب سأله فى رقة :

ـ ألا اقدم لك شيئا ؟.

فقال ميجريه فى لجهة قاطعة وهو يفض البرقية :

ـ لا شىء .

كانت البرقية من البوليس القضائى بباريس . وكان ميجريه قد طلب معلومات معينة . وكان هذا نصها :

« لم يترك اميل جاليه وصية . والميراث عبارة عن « فيللا » سان فارجو وتقدر بمائة الف فرنك ـ بما فيها من اثاث ـ وثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك فى المصرف . أورور جاليه تنتفع بثلثمائة الف فرنك قيمة وثيقة تأمين لزوجها على حياته فى سنة ١٩٢٥ بشركة لابى .. هنرى جاليه عاد الى عمله بمصرف سوفرينوس يوم الخميس .. اليونور بورسانج غائبة عن باريس وتقضى اجازتها فى اللوار .

وحدق ميجريه بالنظر الى الفضاء لحظة ثم تحول الى هنرى مويرز وسأله قائلا :

ـ هل تعرف شيئا عن وثائق التامين على الحياة ؟.

فاجابه الشاب فى تواضع :

ـ الى حد ما .

www.ibtesamah.com/vb

وكان يضع فوق عينيه «عوينات» ضيقة بحيث كان وجهه يبدو متصلبا . وقال ميجريه :

ـ فى سنة ١٩٢٥ كان جاليه قد تجاوز الخامسة والأربعين من عمره ... وكان مريضا بالكبد ... فكم تعتقد انه يدفع فى السنة ليحصل على تأمين على حياته بثلثمائة الف فرنك ؟.

تحركت شفتا مويرز دون ان يصدر منهما اى صوت واستمر هكذا بضع لحظات واخيرا قال :

ـ عشرون الف فرنك فى السنة .. ولا ريب انه وجد مشقة كبيرة لكى يقنع الشركة بقبول هذا الخطر .

نظر ميجريه فى حنق الى صورة جاليـــه . وكانت لا تزال فـوق المدفأة فى الزاوية التى كـانت عليها فـوق المعزف بسان فارجـو .

ـ عشرون الف فرنك .. وكان لا ينفق اكثر من الفى فرنك فى الشهر او بوجه أصح نصف ما يحصل عليه تقريبا . بشق النفس من المشايعين للملكية .

وانتقلت نظرته من الصورة الى « البنطلون » الأسود البراق المتآكل عند الركبتين والملقى فوق الأرض .

واستعاد فى ذهنه صورة مدام جاليه بثوبهـــا الحـــريرى البنفسجى وجواهرها وصوتها الحـــاد .

وود لو ان يسأل صاحب الصورة .

ـ أكنت تحبها الى هذا الحد ؟.

واخيرا هز كتفيه وتحول الى السور الذى يبرق تحت اشـــعة الشمس والذى تسلقه اميل جاليه وهو يرتدى القميص منذ ثمانية أيام .

وقال يخاطب مويرز وفى صوته شىء من الملل :

ـ مازال هناك بعض الرماد فحاول ان تجد المزيد عن هـــذا اليعقوب .. من هو هذا المغفل الذى قال لى انه لايعرف الا يعقوب الانجيـــل ؟.

واطل طفل من النافذة وابتسم ابتسامة كبيرة على حين ارتفع من الشرفة صوت رجل يقول فى لين :

ـ هلا تركت هؤلاء السادة يعملون ياميل !.

www.ibtesamah.com/vb

وزمجر ميجريه وقال يحدث نفسه :
ـ آه .. اميل آخر .. ولكن هذا الاميل على قيد الحياة على الأقل .. على حين الآخر ..
ولكنه استطاع أن يملك نفسه وان يثب من النافذة من غير ان ينظر الى الصورة .

الفصل السابع ..

إذن جوزيف سويرز

كان الحر لايطاق ، وكانت الصحف تصف كل صباح اضرار العواصف التى تجتاح انحاء فرنسا ومع ذلك فقد مرت ثلاثة اسابيع لم تسقط فيها نقطة مطر واحدة على سانسرا أو ضواحيها .
وبعد ظهر ذلك اليوم كانت الشمس تسلط اشعتها الحامية على الغرفة التى نزل بها اميل جاليه بحيث احالتها جحيما لايحتمل البقاء فيها .
ومع هذا ، وفى ذلك اليوم نفسه ، وكان يوم سبت اكتفى مويرز بأن اسدل الستارة المصنوعة من القماش الأبيض أمام النافذة المفتوحة . ولم تنقض نصف ساعة على فراغه من طعام الغداء حتى كان ينحنى من جديد على الواحه الزجاجية وقصاصاته السوداء وقد عكف على عمله فى انتظام وترتيب .
ومرت دقائق راح ميجريه يحوم حوله ويلمس بيده كل شىء ويجر قدميه فى تردد وتنهد أخيرا ثم قال :
ـ اسمع ياصاحبى .. انني لاأحتمل هذا الجو .. انني اعجب منك ولكنك لاتزن مائة كيلو مثلى .. ينبغى أن أخرج واقبع قليلا فى مكان رطب ..

www.ibtesamah.com/vb

ولكن اين يلجا واين يلوذ من هذا الحر الشديد .. أفى الشرفة؟ كان بها قليل من الهواء ولكنهـا كانت مشحونة بالنزلاء وأولادهم .

وفى المقهى ندر أن تمر نصف ساعة من غير أن يسمع صـوت اصطدام كرات البلياردو بعضها ببعض .

ولم يجد ميجريه أمامه اخيرا الا أن يذهب الى الفناء . وكان الظل قد امتد حتى غطى نصفه . واستدعى احدى الخادمات وامرها قائلا :

ـ أحضرى لى مقعدا هزازا .

ـ هل تفكر فى أن تستريح هنا ؟.. صوف يزعجـك صخب المطبخ .

ولكنه آثر صخب المطبخ صوت الدجاج على ضجيج الناس . وجر مقعده الهزاز حتى البئر وبسط جريدة فوق وجهه ليحتمى من لسعات الذباب وتأهب للنعاس .

وشيئا فشيئا بدأ صوت غسل الآنية والأطباق يبدو وكأنه آت من عالم بعيد غير حقيقى وافلت من سلطان القتيل الذى كان يلح عليه ولم يلبث أن راح فى غيبوبة لذيذة .

فى أية لحظة بالذات سمع صوت الطلقتين ؟ على كل حال لم تتمكنا من انتزاعه من خدره لأنه أعقبهما فى ذهنه على الفور حلم قريب فسر له صوتهما تفسيرا آخر .

فقد رأى نفسه جالسا فى شرفة الفندق وتيبورس دى سان هيلير يمر أمامه وهو يرتدى حلة خضراء ويتبعه اثنا عشر كلبا من كلاب الصيد الطويلة الأذنين .

وقال له :

ـ سـألتنى فى اليوم السـابق اذا كان الصـيد متوفرا فى البـلد ؟.

ورفع بندقيته الى كتفه واطلق طلقتين مصادفة واتفاقا سقط على اثرهما سرب من الطير بدا كأوراق الشجر الميتة .

ـ أيها القوميسير .. أسرع .

وصحا مفزوعا .. ورأى أمامه فتاة من الخدم قالت له :

ـ طلقات نارية .. فى الغرفة .

ولا تسل عن خجله وهو يتحقق من ثقله والناس حوله يسرعون

www.ibtesamah.com/vb

الى الفندق . ولم يكن اولّ من بلغ غرفة جاليه حيث رأى موبرز واقفا على مقربة من المنضدة ووجهه بين يديه .

وصاح بلهجة الأمر :

ـ اخرجوا جميعا .

وسأله مسيو تارديفون :

ـ هل استدعى طبيبا ؟.. هناك دم .. انظر .

ـ نعم .. اذهب .

وأغلق الباب وأسرع الى الشاب :

ـ ما الخبر ياصاحبى ؟.

وكان قد رأى الدم . وهو دم كثير .. فى كلّ مكان .. على يدى موبرز وعلى الألواح الزجاجية . .وفوق الأرض .

ـ ليس الأمر خطيرا ايها القوميسير .. هى اذنى .. انظر .

وترك لحمة اذنه لحظة خاطفة وماكاد يفعلّ حتى انبجس الدم وكان الشاب قد اصفر لونه ومع ذلك فقد حاول أن يبتسم كما حاول التحكم فى حركة فكيه العصبية .

كانت الستارة لاتزال مسدلة تحمى الغرفة من أشعة الشمس الحامية وتكسبها لونا برتقاليا .

ـ ليس الجرح خطيرا .. اليس كذلك ؟. لايدمى شىء بهذه الصورة المزعجة مثل الأذن .

ـ ليهدأ روعك ياصاحبى .. خذ نفسك .

فقد كان الشاب يتكلم بصعوبة وأسنانه تصطك بعضها ببعض .

ـ لم يكن ينبغى أن اضع نفسى فى مثلّ هذه الحالة .. ولكن ليس لى حيلة فى ذلك فلم أعتد شيئا من هذا .. كنت قد غادرت مكانى لآخذ الواحا جديدة .

وكان يضغط بمنديله على اذنه محاولا ايقاف الدم فاصطبغ المنديلّ . واتكأ بيده الأخرى على المنضدة واستطرد يقولّ :

ـ كنت أقف فى هذا المكان على وجه التحديد .. وسمعت الطلقة واقسم لك أننى احسست باندفاع الهواء بالقرب من عينى بحيث أننى ظننت أن «عويناتى» انتزعت من مكانها .. وقد ارتددت الى الخلف ، ولكن فى اللحظة نفسها وبعد الطلقة الأولى على الفور

www.ibtesamah.com/vb

تقريبا دوت طلقة ثانية وحسبت انني مت .. وسمعت ضجيجا في راسي كما لو كان مخي اخذ يغلي .

وابتسم ابتسامة حاول أن تكون عادية واستمر يقول

ـ وانت ترى .. ليس الأمر بذى أهمية .. قطعة من اذنى طارت كان ينبغي أن أهرع الى النافذة ولكني لم أقو على الحراك .. خيل لي أن طلقات أخرى سوف تنطلق .. ولم أكن ادرى قبل ذلك شيئا من الرصاص .

واضطر أن يجلس فان رد الفعل الذى أعقب اطلاق الرصاصتين والخوف الذى تملكه نتيجة لذلك ألانا ساقيه .

ـ لاتشغل بالك بأمرى .. ابحث عنه .

وظهرت على جبينه فجأة حبات من العرق وأدرك ميجريه أن الشاب موشك على الاغماء فأسرع الى الباب وصاح :

ـ مسيو تارديفون .. ارجو أن تهتم به .. هل استدعيت الطبيب ؟.

ـ انه ليس فى بيته .. ولكن ها هو ذا أحد نزلائى ، وهو ممرض .

وأزاح ميجريه الستارة ووثب من النافذة وهو يرفع غليونه الى فمه بحركة آلية ومن غير أن يحشوه .. كان ممر العشب مقفرا ، نصفه يغطيه الظل والنصف الآخر تفمره أشعة الشمس وحرارتها . وفى آخره الباب الحديدى وكان مقفلا .

ولم ير القوميسير شيئا غير عادى فوق قمة السور أمام الغرفة ولم يكن هناك جدوى فى البحث عن آثار أقدام بين هذه الحشائش الجافة فهى لاتحتفظ بآثار الأقدام كما يحدث فى الأماكن الحجرية أو الرملية .

وأسرع نحو « الرصيف » حيث اجتمع نحو عشرين شخصا وقد بدا عليهم التردد .

ـ هل كان بعضكم موجودا هنا عندما أطلق الرصاص ؟.

أوما الكثيرون بالايجاب .. وتقدم بعضهم .. وعاد ميجريه يقول :

ـ هل رايتم أحدا يجتاز هذا الطريق ؟.

www.ibtesamah.com/vb

فأجابه رجل قصير القامة نحيف الجسم يرتدى صديرا متعدد الألوان :

ـ لم يمر أحد من هنا منذ ساعة تقريبا .. اذهب الى امك ياشارلو .. اننى لم أنتقل من مكانى هذا منذ مدة كبيرة ، ولو ان القاتل قد أخذ هذا الطريق لكنت رأيته بكل تأكيد .

ـ هل سمعت الطلقتين ؟.

ـ كما سمعهما الجميع . .وقد ظننت ان قوما يصطادون فى القصر المجاور ولكنى تقدمت بضع خطوات على كل حال .

ـ الم تر شخصا ما بالممر ؟.

ـ لم يكن به اى شخص .

ـ ولكنك لم تنظر خلف الأشجار طبعا .

ودار ميجريه حول كل شجرة لا لشىء الا ليريح ضميره ثم صار نحو الباب العمومى للقصر الصغير . وكان البستانى يجر عربة صغيرة محملة بالحصى فسأله :

ـ أين سيدك ؟.

ـ عند موثق العقود ... ففى مثل هذا الوقت من كل يوم يلعبون بالورق هناك .

ـ هل رأيته يغادر القصر ؟.

ـ أجل ... وقد غادره منذ ساعة ونصف .

ـ الم تلتق بأحد فى الحديقة ؟.

ـ نعم . لم التق .. لماذا ؟.

ـ أين كنت منذ عشر دقائق ؟.

ـ على شاطىء النهر ... أنقل الحصى الى العربة .

حدق ميجريه بالنظر الى عينى الرجل مليا .. كان صادقا . ثم انه كان من الغباء بحيث لايخطر له أن يكذب .

وتقدم القوميسير بدون أن يعيره أدنى اهتمام حتى بلغ البرميل الموضوع بجوار السور وفحص المكان جيدا ولكنه لم يجد ما يدل على أن القاتل مر من هذا المكان .

وفتح الباب الحديدى ولكنه لم يصل الى نتيجة من هذه الناحية أيضا .. فلم يجد ما يدل على أن الباب فتح مرة اخرى منذ ان اغلقه هو فى الصباح .

www.ibtesamah.com/vb

ومع ذلك فقد اطلقت رصاصتان !.

وفى الفندق كان النزلاء قد عادوا الى اماكنهم وبدءوا يتحدثون فى موضوعات اخرى عامة .

وقال تارديفون وهو يسرع للقاء ميجريه :

ـ ليس الجرح خطيرا .. علمت الآن أن الطبيب موجود عند موثق العقود فهل استدعيه ؟.

ـ وأين بيت موثق العقود ؟.

ـ فى الميدان بجوار مقهى لاكومرس .

ـ لمن هذه الدراجة ؟.

ـ لا ادرى .. يمكنك أن تأخذها على كل حال .. هل تذهب انت نفسك ؟.

جلس ميجريه فوق مقعد الدراجة التى كادت تنوء به . وبعد خمس دقائق كان يدق الجرس فى بيت فسيح الأرجاء نظيف معتدل الجو وفتحت خادم عجوز ـ تلبس مئزرا أبيض ذا مربعات زرقاء ـ كوة بالباب ونظرت اليه متسائلة فقال :

ـ هل الطبيب موجود ؟.

وفتحت فى هذه اللحظة احدى نوافذ الدور الأرضى على مصراعيها وأطل منها رجل باش فى يده اليمنى بعض أوراق اللعب وسأل :

ـ اهى زوجة الحارس ؟.. اننى قادم على الفور .

ـ بل جريح ايها الطبيب ... هل تتكرم بالذهاب فورا الى فندق لالوار ؟.

ـ ليس فى الأمر جريمة على الأقل ؟.

كان هناك ثلاثة اشخاص يجلسون أمام منضدة تلمع فوقها كئوس من الكريستال هبوا واقفين عندما سمعوا الكلمات الأخيرة ورأى ميجريه بينهم دى سان هيلير .

ـ جريمة ... نعم ... أرجو أن تذهب حالا .

ـ هل مات ؟.

ـ لا . خذ معك بعض الضمادات .

لم يحول ميجريه عينيه عن سان هيلير وكان قد لاحظ أن صاحب القصر الصغير بادى الانزعاج . وقال :

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل تسمحون لى بسؤال أيها السادة ؟.
وتدخل موثق العقود فى هذه اللحظة فقال :
ـ ويدك ... ولكن لماذا لم يدعوك تدخل ؟.
وما سمعت الخادم كلماته هذه حتى فتحت الباب على القود ، واجتاز القوميسير الممر الصغير ودلف الى صالون تسوده رائحة السجاير والخمر المعتقة .
وصاح صاحب البيت ، وكان عجوزا شديد العناية بنفسه ناعم الشعر ذا بشرة رائقة كبشرة الأطفال :
ـ ما الذى حدث ؟.
وتظاهر ميجريه انه لم يسمع وقال :
ـ أريد أن أعرف منذ متى وأنتم تلعبون أيها السادة ؟.
نظر العجوز الى ساعة الحائط وأجاب :
ـ منذ ساعة تقريبا .
ـ ألم يغادر أحد منكم الغرفة فى أثناء اللعب ؟.
تبادل الجميع النظرات فى دهشة واستغراب . وأجاب صاحب البيت :
ـ نعم . لم يغادر أحد .. فنحن أربعة فقط ، أى العدد الضرورى للعبة البريدج .
ـ هل انت واثق ؟.
اضطرب دى سان هيلير وقال يسأل فى صوت مبحوح :
ـ ومن الضحية ؟.
ـ موظف بالبوليس القضائى كان يعمل بغرفة أميل چاليه ... كان يهتم برجل اسمه مسيو يعقوب .
وهتف موثق العقود :
ـ مسيو يعقوب ؟.
ـ هل تعرفه ؟.
ـ لا . لاريب انه يهودى .
ـ هل يمكن أن أسألك معروفا يا مسيو دى سان هيلير ؟.. أريد أن تفعل المستحيل لتعثر على مفتاح الباب الحديدى ... واذا دعت الضرورة فسوف أجند بعضا من رجالى ليعاونوك فى تفتيش « الفيللا » .

www.ibtesamah.com/vb

ولم تفت ميجريه حركة صاحب القصر الذى رفع كأسه الى شفتيه على الفور وجرع ما فيه مرة واحدة وقال :

ـ معذرة لازعاجى اياكم أيها السادة .

ـ ألا تتناول كأسا معنا ؟.

ـ فى وقت آخر .. شكرا لك ..

وانصرف بالدراجة وما هى الا لحظات حتى بلغ بيتا عتيقا علقت عليه لافتة قديمة عليها هاتان الكلمتان : « بنسيون جرمان » .

كان بيتا قديما يوحى منظره بأن كل ما فيه يصرخ بالفقر نظافته غير مؤكدة جلس طفل قذر على عتبته والى جانبه كلب يقرض عظمة التقطها من صندوق القمامة .

ـ هل الآنسة بورسانج موجودة ؟.

وظهرت امرأة من داخل البيت وعلى ذراعها طفل وليد وقالت :

ـ انها خرجت كما تفعل بعد ظهر كل يوم .. ولكنك تجدها من غير شك على الربوة بالقرب من القصر الصغير لأنها أخذت معها كتابا وهى تقضى وقتها هناك فى المطالعة .

ـ هل يؤدى هذا الطريق اليها ؟.

ـ سر الى آخر الشارع ثم سر على يمينك وسوف تجدها بعد المنزل الأخير .

وفى منتصف الطريق اضطر ميجريه ان يهبط من دراجته ؛ اذ كانت هناك مرتفعات ومنخفضات كثيرة ، وان يدفعها بيديه . كان مضطربا على الرغم من أنه حاول أن يملك نفسه ولعل اضطرابه كان راجعا الى احساسه بأنه يجرى وراء أثر خاطىء .

ان سان هيلير لم يطلق الرصاص وهذا أكيد .. ومع ذلك ..

واجتاز فى طريقه متنزها عاما . والى يساره ، وفى شارع آخذ فى الانحدار بعض الشىء جلست طفلة والى جوارها ثلاث عنزات مربوطة الى أوتاد قائمة على جانب الطريق .

وانحنى الشارع فجأة . فرأى أمامه على بعد مائة متر تقريبا اليونور بورسانج جالسة فوق مقعد وفى يدها كتاب مفتوح .

ونادى الطفلة . وكانت تناهز الثانية عشرة من عمرها وسألها:

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل تعرفين هذه السيدة الجالسة هناك ؟.
ـ نعم يا سيدى .
ـ هل تأتى للمطالعة هنا كثيرا ؟.
ـ أجل يا سيدى .
ـ كل يوم ؟.
ـ أظن ذلك يا سيدى . ولكنى لا أراها عندما اذهب الى المدرسة .
ـ ـفى أى ساعة أقبلت اليوم ؟.
ـ منذ وقت طويل ياسيدى .. بعد أن تناولت غدائى مباشرة .
ـ واين تقيمين ؟.
ـ ـفى البيت الذى تراه هناك .

وأشارت الى بيت ريفى يبعد حوالى خمسمائة متر .

ـ هل كانت السيدة جالسة فى ذلك الوقت ؟.
ـ لا يا سيدى .
ـ ومتى أقبلت ؟.
ـ لا أدرى يا سيدى ... منذ ساعتين تقريبا .
ـ ألم تغادر مكانها ؟.
ـ نعم . لم تغادره يا سيدى .
ـ هل معها دراجة ؟.
ـ لا ياسيدى .

اخرج ميجريه قطعة من ذات الفرنكين ودسها فى يد الطفلة من غير أن ينظر اليها . وضغطت الطفلة على قطعة النقود وبقيت مدة طويلة من غير حراك وقد حولت عينيها اليه على حين ركب هو دراجته وقفل عائدا .

وتوقف عند مكتب البريد وارسل الى باريس برقية هذا نصها :

www.ibtesamah.com/vb

« أريد أن أعرف فورا أين كان هنرى جاليه فى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت . ميجريه بسانسير »

***

ـ دع هذا العمل الآن يا صاحبى .

ـ ولكنك قلت لى انه ضرورى وعاجل ... ثم انى لم أعد أشعر بشىء أيها القوميسير .

يالمويرز الشجاع ! كان الطبيب قد ضمد له جرحه وبدا الضماد كبيرا جدا كما لو كانت قد أطلقت على رأسه ست رصاصات . وبدت « العوينات » وسط هذه الضمادات البيضاء غريبة الشكل ببريقها العجيب .

وحتى الساعة السابعة لم يشعر ميجريه بأى قلق او انزعاج عليه فالجرح لم يكن خطرا فى الواقع . وعندما اقبل أخيرا وجده لايزال عاكفا على الواحه الزجاجية وبجانبه شمعته المشتعلة وموقده الغريب . وبادره الشاب قائلا :

ـ لم أجد شيئا آخر يتعلق بمسيو يعقوب . ولكنى استطعت أن أعيد ترتيب خطاب بامضاء مسيو كليمان ولا أدرى اسم المرسل اليه يتحدث فيه عن هدية يريد ان يبعث بها الى أمير فى المنفى ... وقد عثرت على كلمة « تافه » مرتين وكلمة «ملكى» مرة واحدة .

ـ ليس لهذا الخطاب اهمية تذكر . فهو بلا شك خاص بعمليات النصب التى كان اميل جاليه يزاولها فان فحص الملف الوردى أعطاه فكرة عن هذا الموضوع وتأكد فكرته هذه على أثر محادثات تليفونية مع بعض أصحاب القصور فى مقاطعتى بيرى وشير .

فبعد زواجه بثلاثة أو أربعة أعوام ، وبعد موت صهره بسنة أو سنتين من غير شك خطر لجاليه أن يستفيد من مراسلات «الشمس» القديمة التى ورثها عن صهره .

وكانت جريدة « الشمس » تصدر بكمية محدودة ويحررها أوجست بريجان نفسه ويوزعها على عدد محدود من المشتركين

www.ibtesamah.com/vb

الذين يراودهم الأمل فى أن يروا واحدا من عائلة بوربون يرقى عرش فرنسا .

وكان ميجريه قد قلب أعداد « الشمس » ولاحظ أن نصف صفحة كانت تخصص باستمرار لقوائم المتبرعين تارة لصالح عائلة مسكينة أخنى عليها الدهر وأخرى لتدعيم صندوق الدعاية الخاص بالحفلات الملكية .

وقد خطر لجاليه وهو يقلب صفحات الجريدة مرة بعد الأخرى أن يحتال على الملكيين فقد كان يعلم عناوينهم ويعرف طبقا للقوائم المذكورة الى أى حد يمكن ان يطالب كلا منهم وكيف يتلاعب بأحساساتهم للحصول على ما يريد .

ـ وهل كتبت هذه الخطابات بخط واحد ؟.

ـ أجل ... وان استاذى البروفسور لوكان سوف يؤكد لك ما أقول ... وهو خط هادىء يدل على عناية صاحبه به تصحبه سمات تدل على أن كاتبه مريض وانه يعرف ذلك .

ـ طبعا ... فى هذا الكفاية يا موير ... يمكنك أن تستريح الآن .

وتحول ميجريه فحدق بالنظر الى الثقبين اللذين احدثتهما الطلقتان فى الستارة .

ـ هل لك أن تقف لحظة فى المكان الذى كنت تقف به عندما اصابتك الرصاصة ؟.

ووقف موير كما قيل له . وقال ميجريه بعد لحظة .

ـ الزاوية نفسها ... أطلقت الطلقتان من فوق السور ، من المكان نفسه الذى أطلقت منه الرصاصة الأولى ... ولكن ما هذا الصوت ؟.

ورفع الستارة ورأى البستانى يجر مجرفه بين الأعشاب النامية والكلأ المتشابك . وسأله قائلا :

ـ ماذا تفعل هنا ؟.

www.ibtesamah.com/vb

ـ هو سيدى الذى أمرنى ...
ـ أن ابحث عن المفتاح ؟.
ـ أجل .
ـ أهو الذى أرسلك للبحث هنا ؟.
ـ انه يبحث فى الحديقة هو الآخر ، والطاهية والخـــادمة تبحثان فى غرف القصر .
أسدل ميجريه الستارة فى حركة مفاجئة وقال يخاطب مويرز:
ـ أراهنك أيها الصغير على أن البستانى هو الذى ســـيجد المفتاح .
ـ أى مفتاح ؟.
ـ لا أهمية لذلك ... سيطول شرحى لكَ ... ولكن فى أى ساعة أسدلت الستارة ؟.
ـ بمجرد عودتى .. حوالى الواحدة والنصف .
ـ ألم تسمع صوت خطوات فى الممر ؟.
ـ لم اهتم بذلك ... فقد كنت مستغرقا فى عملى الذى كنت أزاوله ، فهو ـ وان بدا سخيفا ـ عمل دقيق جدا ..
ـ أعلم ذلك ... ولكن الى من تحدثت عن مسيو بعقوب ؟.. أعتقد اننى تحدثت عنه مع البستانى ... وسان هيلير الذى كان قد خرج للصيد وعاد لتناول غدائه ثم استبدل ثيابه وذهب ليلعب بالورق .. هل أنت واثق أن كل الخطابات المحترقة بخط مسيو كلميان ؟
ـ كل الثقة .
ـ اذن فلا أهمية لها اطلاقا ... ان الشىء الوحيد الذى يهمنا فى هذه القضية هى الرسالة التى وقعها مسيو بعقوب والتى يتكلم فيها عن يوم الاثنين وعن أوراق مالية والتى يبدو منها انه يطالب بعشرين الف فرنك وقد تمت الجريمة يوم السبت ...
وكان سمع المجرفة وهى تصطدم احيانا بالحجارة والصخر .
ـ اطلق اليونور الرصاص . وكذلك دى سان هيليـــر ولكن ...

www.ibtesamah.com/vb

وارتفع صوت البستانى فى هذه اللحظة وهو يقول :

ـ غريبة !.

وابتسم ميجريه فى كبرياء ودنا من الستارة وقال وهو يبسط يده :

ـ هات .

ـ ما كنت اتوقع ان أجده هنا .

ـ هات .

وأعطاه البستانى المفتاح .. وكان مفتاحا ضخما من طراز لم يعد له وجود منذ مدة طويلة ولا يمكن ان يجد المرء مثله الا عند تجار الآثار والعاديات . وكان مثل القفل تماما يعلوه الصدأ وبه آثار خدوش .

ـ يمكنك ان تقول لسيدك انك اعطيتنى اياه .

ـ ولكن ...

ـ انصرف ...

وأعاد ميجريه أسدال الستارة والقى بالمفتاح فوق المنضدة وقال :

ـ يمكننا ان نقول ، ان هذا اليوم كان مثمرا اذا ضربنا صفحا عن اذنك المصابة .. اليس كذلك يا موريز ؟... فأولا مسيو يعقوب .. ثم المفتاح .. والطلقتان الناريتان والباقى .. حسنا .

وارتفع صوت مسيو تارديفون يقول :

ـ برقية أيها القوميسير .

وقال ميجريه بعد ان القى نظرة على البرقية .

ـ ألم أقل لك ذلك يا صاحبى ؟ اننا بدلا من ان نتقدم نرجع القهقرى .. اصغ الى هذا .. فى الساعة الثالثة مساء ، كان هنرى جاليه موجودا مع أمه فى سان فارجو وبقى معها حتى السادسة مساء .

ـ اذن ؟..

ـ لا شىء . لا يبقى أمامنا الا مسيو يعقوب ولعله هو الذى اطلق الرصاص ولكنه حتى الآن مازال سرابا .

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثـــامن

مسيو يعقوب

ـ رويدك يا أورور .. لا داعى لاظهار كل هذا الحزن ..
وأجابت أورور بصوت مضطرب فقالت :

ـ ولـكننى لا أملك نفسى يا فرانسواز فان هـــذه الزيارة تجعلنى أفكر فى الزيارة الأولى التى تمت منذ ثمانية أيام .. وفى تلك الرحلة ، أنت لا تفهمينى ..

ـ ان الذى لا أفهمه هو كيف تواتيك القدرة على بكاء رجـل مثله لوثك بالعار وكذب عليك طول حياته ، ان الحسنة الوحيـدة التى أبداها نحوك هى وثيقة التأمين التى عقدها لصالحك ..

ـ اصمتى ..

ـ ثم انه أرغمـك على حيـاة كلها شظف وبؤس وهو يقسم أغلظ الأيمان انه لايربح غير ألفين من الفرنكات كل شهر . ووثيقة التأمين وحدها تثبت انه كان يربح ضعف هذا المبلغ وانه كان يخفى عليك ذلك . ومن يدرى ؟ لعله كان يكسب أكثر .. ان من رأيى انه كان لذلك الرجل بيتان وصديقة وربما أولاد فى مكان ما .

ـ أتوسل اليك أن تسكتى يا فرانسواز .

كان ميجريه يجلس وحده فى الصالون الصغير بفيللا ســان فارجو حيث أدخلته الخادم ونسيت ان تغلق الباب خلفها وهى

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

الخارجة فتناهى الى سمعه الحديث الذى يدور بين الاختين فى غرفة الطعام الواقعة فى الممر نفسه وكان بابها مفتوحا هو الآخر.

كان كل شيء فى الغـــرفة قد أعيد الى مكانه . ولم يملك القوميسير نفسه عنـــدما وقعت عيناه على المنضـــدة الـكبيرة المصنوعة من خشب القرو الا ان يذكر انه كانت تغطيها منذ ايام ملاءة كبيرة من الجوخ الاسود وانه كان بوسطها تابوت تحيط به الشـــموع ..

وكان الجو باردا ملبدا بالغيوم ، فقد انفجرت عاصفة بالأمس فى منتصف الليل وكانت الدلائل تدل على أن السماء لم تلق بكل ما فى جوفها .

ـ ولمـــاذا أسكت ؟ هل تعتقدين ان هذه المسألة لا تعنينى .. انا أختك وجاك على وشك ان يحصل على مركز سياسى مرموق . فماذا يكون العمل لو أن أهـــالى البلد يعلمون أن زوج أختـــه كان نصابا .

ـ اذن لماذا قدمت ؟.. انك بقيت عشرين سنة ..

ـ من غير ان أراك لاننى لم أشأ ان اراه هو .. عندما أعلنت لنا رغبتك فى الزواج منه لم نخف عنك رأينا أنا وجاك .. فان فتاة مثلك تدعى أورور بريجان اختها زوجة مدير لأكبر مدابغ الفوج وأختها الاخرى زوجة رجل تتفتح امامه ابواب المستقبل وقـــد يكون مديرا لمـــكتب وزير لا ينبغى ان تتزوج رجلا اســـمه اميل جاليه .. لا شيء أدعى الى التقزز من هذا الاسم ، ووكيل تجارى فوق ذلك .. اننى لأعجب كيف وافق أبى على مثل هذا الزواج . ولكنى قد أخمن فيما بيننا ما حدث فى ذلك الوقت .. لم يكن أبى فى الأيام الأخيرة يهدف الا الى شيء واحـــد هـــو أن تســـتمر جريدته فى الظهور بأى ثمن ، وكان جاليه يملك ثروة صغـــيرة فاقنعه بأن يستثمرها فى جريدته ، لا أخالك تجرئين وتقولين ان هذا غير صحيح .. ولكنى لا أصدق ان أختى أنا ، وقد تربت معى التربية نفسها ونشأت معى النشأة نفسها والتى تشبه ماما فى كل شيء يقع اختياره على مثل هذا الرجل الساقط . لا تنظـرى

www.ibtesamah.com/vb

الى هكذا .. أردت فقط أن أجعلك تفهمين انه لا داعى لكل هذا البكاء .. هل كنت سعيدة معه ؟ صارحينى القول ..

ـ لا أدرى .. لا أدرى ..

ـ اعترفى انك كنت تتوقين الى أكثر من هذا .

ـ كنت أرجو دائما أن يحاول شيئا .. وكنت ادفعه دفعا .

ـ وكأنى بك تدفعين صخرة ، ولم يسعك اخيرا الا الاستسلام للواقع .. وما كنت تعلمين انه قد يتركك فى الفاقة بعد موته لانه لولا وثيقة التأمين ...

فقالت مدام جاليه :

ـ لقد فكر هو فيها .

ـ لم يكن ينقص الا هذا .. وانى اذ أسمعك تتحدثين عنه الآن اكاد أعتقد انك تحبينه .

ـ اصمتى .. قد يسمعنا القوميسير .. ينبغى أن أستقبله .

ـ وكيف هو ؟.. من الأوفق أن أرافقك وأنت فى حالتك هذه ولكن أرجو يا اورور ان تتغلبى على حزنك هذا .. قد يخطر ببال القوميسير اذا رآك هكذا أنك كنت شريكة له وانك حزينة وانك تخافين .

ارتد ميجريه خطوة الى الوراء ، وما كاد يفعل حتى دخلت المرأتان من الباب الموصل للغرفتين ، وكانتا على غير ماتخيلهما من خلال الحديث الذى تناهى الى سمعه .

كانت مدام جاليه تبدو متعالية كما بدت له فى المرة الأولى أما اختها فكانت أصغر منها بسنتين أو بثلاث خففت شعرها بالأوكسجين وصبغت وجهها بالأصباغ ويخيل لمن يراها انها أشد جاشا واكثر غرورا .

وسألته الأرملة فى اعياء :

ـ هل من جديد أيها القوميسير .. أرجو ان تجلس .. اقدم لك اختى ، وقد وصلت من ابينال .

ـ حيث يشتغل زوجها بالدباغة على ما اعتقد .

www.ibtesamah.com/vb

فقالت فرانسواز مصححة فى صوت جاف :
ـ بل هو صاحب مصانع للدباغة .
ـ لم تشترك السيدة فى تشييع الجنازة ، اليس كذلك ؟ وقد أعلنت الجرائد منذ ثلاثة ايام انك تنتفعين بوثيقة تأمين على الحياة بمبلغ ثلثمائة الف فرنك .

كان يتكلم فى تؤدة وهو ينظر ذات اليمين وذات الشمال فى ثقل ظاهر ، وكان قد أقبل الى سان فارجو من غير سبب معلوم ليشم من جديد الجو الذى كان يعيش فيه القتيل ويستعيد فى ذهنه صورة له على هدى ذلك الجو .

ومع ذلك لم يكن يضيره أن يلتقى بهنرى جاليه .

وقال من غير أن ينظر الى المرأتين :

ـ أود أن القى عليك سؤالا يامدام جاليه .. لاريب ان زوجك كان يعلم انه بزواجه منك قد قلب عائلتك عليك .

وكانت فرانسواز هى التى أجابت فقالت :

ـ هذا افتراء ايها القوميسير . لقد رحبنا فى الأيام الأولى ونصحه زوجى مرارا كثيرة بأن يبحث له عن وظيفة أخرى وعرض عليه مساعدته ، ولكن عندما تحققنا أنه غير طموح وانه سيبقى طول حياته مرءوسا ضيق الأفق تجنبناه ، ولو لم نفعل لألحق بنا الضرر .

وقال ميجريه فى رقة وهو يتحول الى مدام جاليه ..

ـ وأنت يا سيدتى .. هل دفعته الى تغيير وظيفته ؟.. هل وجهت اليه لوما ؟.

ـ يخيل الى ان هذا من أمورى الخاصة ، ولكن الم يكن ذلك من حقى ؟.

عندما سمعها منذ لحظات من خلال الباب تصور ميجريه امرأة هدها الحزن وجعلها أكثر انسانية مما بدت له فى أول مرة وانها تخلت عن ترفعها المزرى ولكنه لم يلبث أن رآها كما هى على حقيقتها لم تتغير .

ـ هل كان ابنك متفقا مع أبيه ؟.

www.ibtesamah.com/vb

وتدخلت الأخت مرة أخرى فقالت :

ـ ان هنرى سوف يصل الى شيء حتما فهو من آل بريجان، فعلى الرغم من انه يشبه أباه طبيعيا فقد أحسن صنعا بهربه من هذا الجو عندما سمح له سنه بذلك .. وقد عاد الى عمله هذا الصباح على الرغم من انه عانى أمس نوبة كبدية حادة .

نظر ميجريه الى المنضدة وحاول أن يضع اميل جاليه فى مكان ما من هذا «الصالون» .

ـ أكنت تريد ان تقول لى شيئا ايها القوميسير ؟.

ـ لا .. سأنصرف الآن يا سيدتى .. واعتذر لازعاجى لكما ومع ذلك ارجو ان تسمحى بسؤال أخير : الديك صورة لزوجك وهو فى الهند الصينية ؟ . لقد أقام فيها مدة قبل أن يتزوج على ما أعتقد .

ـ ليس لدى ولا صورة واحدة ، فان زوجى لم يحدثنى عن هذه الحقبة من حياته قط .

ـ الا تعرفين اذا كان قد حصل على شهادات عالية ؟.

ـ كل ما أعرفه انه كان مثقفا جدا . وانه كان يناقش أبى فى المؤلفات اللاتينية .

ـ ولكنك لا تعرفين فى أى مدرسة درس علومه .

ـ كل ما أعرف انه من مواليد مدينة نانت .

ـ شكرا لك والتمس معذرة مرة أخرى .

وتناول قبعته وسار الى الممر وهو يرتد الى الخلف بدون ان يتمكن من وصف القلق الغريب الذى يشعر به فى كل مرة يضع فيها قدمه فى هذا البيت .

وقالت فرانسواز فى لهجة لا تخلو من قحة :

ـ أرجو الا تلقى باسمى للجرائد للتشهير به أيها القوميسير فانت تعرف أن زوجى مستشار عام ، له نفوذ كبير فى الدوائر الحكومية وحيث انك موظف ...

ولم يجد القدرة ليرد عليها واكتفى بان حدق بالنظر الى جبينها مليا ثم حياهما أخيرا وهو يتنهد .

www.ibtesamah.com/vb

وبينما هو يجتاز الحديقة الصغيرة تتبعته الخادم التى بعينيها حول .. اخذ يقول فى صوت حالم :

ـ يا لجاليه المسكين ...!

***

ومر بادارة الأمن العام مرور الكرام ليلتقط الرسائل التى وصلت باسمه ، ولم يكن فيها شيء يتعلق بالقضية ، وعندما خرج قصد تاجر الاسلحة الذى فحص الرصاصة التى استخرجت من راس الميت وكذلك الرصاصتين اللتين أطلقتا على مويرز .

ـ هل انتهيت من المعاينة ؟ .

ـ انتهيت منها الآن فقط ، وكنت على وشك ان اكتب التقرير لقد أطلقت الرصاصات الثلاث من مسدس واحد وليس هناك شك فى ذلك . وهو مسدس اوتوماتيكى دقيق الصنع شائع الاستعمال من صنع فابريقة هرستال الاهلية .

عبس ميجريه وودع تاجر الاسلحة واستقل سيارة اجرة . وقال للسائق :

ـ شارع كلينيانكور .

ـ أى رقم ؟ ..

ـ انزلنى عند أى ناصية من ناصيتيه .

وحاول طول الطريق ان يطرد من ذهنه ذكرى سان فارجو اللزجة ، وان يفلت من ملازمة حديث الأختين حتى لا يفحص الا الفروض المحسوسة للقضية .

ولكنه كان لا يكاد يربط بين بعض النظريات حتى يرى فرانسواز زوجة المستشار العام .. فهى لم تنس ان تقول له ذلك وقد أسرعت الى « فيللا » المارجريت بمجرد ان علمت ان مدام جاليه قد اصبحت غنية وانما تملك ثلثمائة الف فرنك .

« كان سيلحق الضرر بالعائلة » .

لقد دفعوا باميل جاليه فى بداية الزواج ، وحاولوا ان يقنعوه فان يشرف آل بريجان كالأصهار الآخرين .

وكيل تجارى يبيع الهدايا المصنوعة من المعدن .

www.ibtesamah.com/vb

وقال ميجريه يحدث نفسه وقد أخذته الدهشة والتردد ازاء سمات القتيل المتعددة .

ـ وقد وجد القدرة على ان يوقع على وثيقة التأمين على حياته وأن يدفع القسط خمس سنوات .. أكان يحب زوجته التى لامته وعتبت عليه اكثر من مرة ضعة نسبه .

أسرة غريبة .. وحياة غريبة ، أفلم تمر بميجريه لحظة أحس فيها بأن مدام جاليه كانت تحب زوجها محبة حقيقية ! .

لقد احس بذلك من خلال الباب .. ليكن .. ولكنها عندما اقبلت ووقفت أمامه كان كل شيء فيها قد تغير ، وعادت كما كانت بورجوازية صغيرة مفرورة بغيضة الى النفس كما كانت عندما استقبلته اول مرة كأختها فرانسواز .

وهذا الهنرى ذو السحنة المقلوبة وهو مازال صبيا بعد ونظرته المتشككة الرزينة والذى لم يتزوج وهو فى الثانية والعشرين من اليونور خوفا من ان يفقد الايراد الذى تحصل عليه كتعويض عما أصاب زوجها الاول ، لقد أصيب بأزمة كبدية كبيرة ولكنه مع ذلك عاد الى عمله .

وتساقط المطر ، فأوقف السائق سيارته على جانب الطريق ليرفع غطاءها .

ـ والرصاصات الثلاثة انطلقت من مسدس واحد ويبدو ان شخصا واحدا هو الذى اطلقها . ومع ذلك فما استطاع هنرى ولا اليونور بورسانج ولا دى سان هيلير اطلاق الطلقتين الأخيرتين .

وكذلك لم يستطع أن يطلقهما متشرد ما .. فالمتشردون لا يقتلون حبا فى القتل .. انهم يسرقون ولم يسرق من جاليه شيء .

وهكذا تخبط به التحقيق وراح يدور ويدور حول سحنة القتيل الشاحبة الحزينة حتى غدت مملة ، ودخل ميجريه أول بيت شارع كلينيانكور وقال بصوت محنق :

ـ هل تعرف مسيو يعقوب ؟.

ـ ماذا يصنع ؟..

ـ لا أدرى .. كل ما أعرف هو انه يتسلم خطابات بهذا الاسم ..

www.ibtesamah.com/vb

وكان المطر قد أخذ في الانهمار ، ولكن القوميسير اغتبط لذلك فان جو الشارع المزدحم بمحاله الضيقة وبيوته الفقيرة كان يتلاءم مع حالته الذهنية .

وهذه التنقلات من بيت الى بيت كان في الامكان أن يكلف مرءوسا اياها ولكنه كره أن يشرك زميلا في هذه القضية ولا يدري لأى سبب .

ـ مسيو يعقوب ؟ .

لا يوجد هنا أحد بهذا الاسم .. ابحث في الناحية الاخرى ففيها يهود .

وكان قد أنتقل الى مائة بيت وألقى مئات الأسئلة من خلال أبواب وشبابيك كثيرة عندما حدقت بالنظر اليه امراة ضخمة ، ذات شعر كالالياف ، في ارتياب وسألته قائلة :

ـ وماذا تريد من مسيو يعقوب ؟ .. ألست من البوليس ؟.

ـ من البوليس القضائي .. أهو في مسكنه ؟ .

ـ ما أظنك تريد أن يكون في مسكنه في مثل هذه الساعة .

ـ أين يمكن أن أجده ؟.

ـ في مكانه طبعا .. عند ملتقى شارع كلينيانكور بشارع روشيشوار .. ولكن لعلك لا تريد به ضرا فهو رجل عجوز لم يفكر قط في ايذاء أحد .. أليست معه رخصة ؟.

ـ هل تأتيه رسائل كثيرة ؟.

قطبت البوابة وجهها وقالت :

ـ اذن فهذا هو السبب .. كنت أشك في أنها مسالة غير سليمة .. لاشك أنك تعلم مثلى انه كانت تاتيه رسالة كل شهرين أو ثلاثة .

ـ موصى عليها ؟.

ـ لا .. بل رسالة عادية تكاد تكون « وبطة » صغيرة .

ـ فيها أوراق مالية .. أليس كذلك ؟.

فأجابت في حدة :

ـ لا أدرى .

www.ibtesamah.com/vb

ـ بل تدرين .. فأنت قد تحسست الظروف .. وخطر لك أنت أيضا أنها أوراق مالية .

ـ وما الضير في ذلك .. ان مسيو يعقوب لا يسرقها على كل حال ..

ـ وأين غرفته ؟.

ـ فوق السطح .. وهو يجد مشقة كبيرة في الصعود اليها كل يوم على عكازية .

ـ ألم يأت أحد للسؤال عنه قط ؟ .

ـ بل جاء رجل ذو لحية قصيرة كان يبدو وكأنه قسيس منذ ثلاث سنوات تقريبا .. وقد أجبته بما أجبتك به .

ـ أكان مسيو يعقوب قد تسلم رسالة في ذلك اليوم ؟ .

ـ كانت قد جاءته رسالة .

ـ أكان ذلك الرجل يرتدي « سترة » ؟ .

ـ كان يرتدي حلة سوداء كالقسيس تماما .

ـ الا يأتي أحد لزيارة مسيو يعقوب الآن ؟ .

ـ لا احد غير ابنته وهي تقوم بالخدمة في بيت بشارع ليبيك وعلى وشك الوضع .

ـ وما هي مهنته ؟ .

ـ كيف هذا ؟ . أفلا تعرف ؟ . وأنت من رجال البوليس ؟ . أو لعلك تسخر بي .. ان مسيو يعقوب هو أقدم بائع صحف في هذه الناحية وهو معروف من الجميع .

***

توقف ميجريه عند ملتقى شارع كلينيا نكور بشارع روشيشفوار وهناك رأى بارا اسمه « في مغيب الشمس » يقف بجانبه تاجر سوداني ولوز مقشور لاشك انه يباع عنده أبو فروة في الشتاء .

وفي الناحية المقابلة أبصر رجلا عجوزا جالسا فوق «طاولة» صغيرة ولا يفتأ يصيح على بضاعته من وقت لآخر قائلا :

ـ انتران .. ليبرتيه .. بريس .. بارى سوار .. انتران .

www.ibtesamah.com/vb

وراى أمام «الفترينة» عكازين . وكان الرجل ليس فى احدى قدميه حذاء عاديا وفى الاخرى خفا ممسوخا .

وتذكر القوميسير بضع كلمات من الخطاب الذى أعاد مويرز ترتيب وضعه . عشرين الف فرنك . أوراقا مالية . يوم الاثنين .

وفجأة انحنى فوق الأعرج وسأله :

ـ هل معك الرسالة الأخيرة ؟.

رفع مسيو يعقوب راسه وأطبق حاجبيه المحمرين مرارا ثم قال أخيرا وهو ينادى مشتريا جريدة ويعطيه الباقى من صندوق خشبى بجواره :

ـ من انت ؟..

ـ بوليس .. دعنا نتحدث فى هدوء والا اضطررت الى اقتيادك .. فان موقفك فى غاية السوء .

ـ وبعد ؟ ..

ـ هل لديك آلة كاتبة ؟ .

ضحك العجوز فى سخرية وبصق من فمه قطعة من سبجاره كان يمضغها بين أسنانه وقال :

ـ لا تحاولى الايقاع بى فأنت تعرف تماما انه لا شأن لى بهذه المسألة .. ما كان لى أن أقبلها فلم أخرج منها بشىء يذكر .

ـ كم ؟..

ـ كانت تنقدنى خمسة فرنكات عن كل رسالة .. اليس مبلغا تافها ؟ .

ـ هو مبلغ تافه حقا ولكنه قد يؤدى بكم جميعا الى محكمة الجنايات .

ـ لا .. اذن فقد كانت أوراقا مالية كما خطر لى .. لم أكن واثقا من ذلك .. كنت أتحسس الظروف وكنت أجد ملمسها ناعما .. وقد حاولت أن أرى من خلالها ولكنها كانت سميكة ..

ـ ماذا كنت تفعل بها ؟.

ـ كنت أحضرها معى هنا .. ولم أكن بحاجة الى اخطارها

www.ibtesamah.com/vb

فقد كانت تأتى فى حوالى الخامسة وتأخذ منى جريدة وتلقى بالفرنكات الخمسة فى الصندوق ثم تدس الظرف فى حقيبتها .

ـ أهى سمراء قصيرة ؟ .

ـ لا .. بل هى شقراء طويلة يميل شعرها الى اللون الاحمر وشيقة تأتى من ناحية المترو .

ـ متى طلبت منك القيام بهذه الخدمة أول مرة ؟.

ـ منذ ثلاث سنوات تقريبا .. كانت ابنتى قد وضعت طفلها الأول وعهدت به الى مرضع فى فيلنيف سان جورج .. نعم .. كان ذلك منذ ثلاث سنوات .. وكان الوقت متأخرا .. وكنت قد جمعت جرائدى وهممت بأن أحملها فوق ظهرى عندما اقتربت وسألتنى ان كان لى مسكن وان كان باستطاعتى أن أقدم لها مساعدة .

ـ وذكرت لى انه ما على الا أن أتسلم خطابات باسمى وأن أحضرها معى هنا من غير أن افضها .

ـ وهل أنت الذى حددت الفرنكات الخمسة ؟.

ـ بل هى .. وقد قلت لها مازحا ان المبلغ زهيد اذا قيس بثمن النبيذ الأحمر فما كان منها الا ان سارت نحو تاجر السودانى وهو رجل لا ضمير له يقدم على كل شىء دون مقابل يذكر فلم يسعنى الا القبول .

ـ ألا تعرف أين تقيم ؟.

غمز مسيو يعقوب بعينه وقال :

ـ لو وضعت يدك عليها فانك من الماكرين برغم كونك من البوليس . لقد حاول بعضهم معرفة ذلك فى الايام الأولى .. وقد ذكرت له البوابة اننى أبيع جرائدى فى هذا المكان وعندما وصفته لى حسبت انه والد السيدة الشابة . وبدأ بأن راح يحوم حولى من غير أن يحدثنى .. وكان يفعل ذلك فى الأيام التى تأتينى فيها الرسالة .. ويختفى هناك خلف محل الفاكهة ثم يسرع خلفها . ولكنه لم يفلح فى اللحاق بها وانتهى بأن جاءنى آخر الأمر وعرض على الف فرنك لكى أذكر له عنوان السيدة ولم

www.ibtesamah.com/vb

يشا أن يصدق اننى لا أعـرفه مثله . ويظهر انها جعلتـه يجرى خلفها من مـكان الى آخر وان يركب خلفها عددا كبيرا من الترام والاتوبيس قبل أن تتخلص منه أخيرا أمام بيت له بابان .

وكان رجلا مضحكا .. تحققت فيما بعد انه ليس اباها .. وحاول أن يتعقبها بعد ذلك مرة او مرتين وقد حسبت انه ينبغى أن انذر «عميلتى» والظاهـر انها جعلته يقتفى اثرها وقتا طويلا دون طائل لأنه لم يعد بعد ذلك .. هل تعرف بماذا كافأتنى على ذلك بدلا من الف الفرنك التى عـرضها على الرجل .. بعشرين فرنكا فقط .. وقـد اضطررت الى الادعاء بأننى لا أملك نقـودا صغيرة « فكة » والا لأعطتنى عشرة فرنكات فقط . وقد انصرفت وهى تنطق بكلمات نابية لم افهمها .. هى امرأة جميلة ولـكنها بخيلة ! ..

ـ متى جاءت آخر رسالة ؟.

ـ منذ ثلاثة شهور .. ولـكن أرجو ان تقف جانبـا بسبب «الزبائن» الذين لا يرون الجرائد . اهـذا كل ما تريده ؟ ألا ترى معى اننى رجل طيب واننى لم احاول خداعك .

القى ميجريه عشرين فرنـكا فى الصـندوق الخشبى وحياه باشارة من يده ثم انصرف وقد ترك الخيال لاحلامه .

وبينما هو يمر أمام محطة المترو قطب وجهـه عندما فكر فى اليونور بورسانج وهى تبتعد فى هدوء وفى يدها ظرف يحتوى على آلاف الفرنكات تاركة للعجوز خمسة فرنكات فقط وتتنقل من ترام الى آخر ومن أوتوبيس الى آخر ثم تدخل بيتا له بابان قبل أن تعود الى بيتها .

ولـكن ما علاقة كل ذلك باميل جاليـه الذى خلع «سترته» وارتقى قمة سور ارتفاعه ثلاثة أمتار .

ان آخر أمل بناه ميجريه على مسيو يعقوب قد عدم وتبخر .. فلم يكن هناك مسيو يعقوب ..!

www.ibtesamah.com/vb

أفلا ينبغى الاعتقـــاد الآن ان هنـــاك بدلاً من مسيو يعقوب صديقين هما هنـــرى جاليه واليونور بورســـانج عرفا سر الأب وأخذا يستغلانه بتهديده .

اليونور وهنرى اللذان لم يقتلا !

وكذلك سان هيلير لم يقتل هو الآخر ، على الرغم من أقواله المتضاربة وعلى الرغم من البـــاب الحديدى المفتوح ومن المفتـــاح الذى القاه هو نفسه فى طريق العشب ثم عثر عليـــه البستانى بعد أن هدده القوميسير بأنه سيفعل المستحيل للعثور عليه ..

ولـــكن كل هـــذا لا يمنـــع ان رصـــاصتين أطلقتا على موبرز وأن اميل جاليه الذى قالت أخت زوجتـــه ان مركزه سوف يضر العائلة قد قتل .

وفى سان فارجو كانوا يجدون الســـلوى والعزاء بالقاء اللوم عليه ويذكرون ضعة نسبه ويعتبرون موته كسباً قـــدره ثلثمائة الف فرنك .

أما هنرى فقد عاد فى الصباح نفســـــه الى عمله بمصرف سوفرينوس اذ كان لابد له من العمل فهو لا يستطيع العيش فى الريف مع اليونور الا اذا جمع خمسمائة الف فرنك وهو لم يجمع حتى الآن الا مائة الف فرنك فقط .

واخيرا اليونور التى راحت ترقب فى سانسر حركات ميجريه وسكناته وهى اشد ما تكون هدوءا ، بل أهدأ مما كانت عليه وهى تستبدل بالظروف المحتوية على آلاف الفرنكات خمسة فرنكات فقط ثم تأتى اليه بعد ذلك بعينين طاهرتين وجبين ناصع لتسرد عليه قصة حياتها .

وسان هيلير كان يلعب بالورق عند موثق العقود .

لم يكن ينقصه الا اميل جاليه نفسه .. وهو الآن ، بعد ان أطاحت الطلقة النارية بنصف وجهه وبعد ان مزق الطبيب الشرعى جسده بمشرطه جبيس فى تابوت بقلبه المطعون وبعينيه الرماديتين اللتين لم يفكر أحد فى اطباق جفنيهما .

www.ibtesamah.com/vb

وكان ميجريه قد صادفته قضايا معقدة كثيرة ولكنه لم يتخبط في حياته كما تخبط في هذه القضية فكلما تناول نظرية وقتلها فحصا وتحقيقا وجدها لا تطابق ما لديه من الحقائق ، واذا كان مسيو يعقوب قد ذكر له ان المرأة طويلة القامة ذات شعر أشقر يميل الى اللون الاحمر فلم يكن ذلك دليلا على انها هي اليونور بورسانج وحتى اذا صح وكانت هي كلم يكن هناك ما يدل على ان هنرى كان شريكا لها . وأخذ يقول :

ـ من السهل ان اقطع الشك باليقين بأن أعرض صورتها على العجوز .

وعرج في طريقه الى شارع تورين حيث كان واثقا من انه سيجد صورة لاليونور بورسانج في مسكنها .

وقالت له البوابة

ـ ان مدام بورسانج متغيبة ولكن مسيو هنرى موجود .

وكان النهار قد بدأ يولى . وكان السلم ضيقا وفتح ميجريه الباب الذى دلته عليه البوابة بدون ان يطرقه .

كان هنرى جاليه منحنيا فوق المنضدة يربط « ربطة » كبيرة قجفل ولكنه تمكن من ان يتمالك نفسه عندما عرف القوميسير .

ومع ذلك فانه لم يستطع النطق ، ولا ريب ان اسنانه آلمته لفرط ضغطه عليها . وكان التغيير الذي طرأ عليه في بحر اسبوع مخيفا فقد غارت وجنتاه وبرزت عظمتاهما واصفر لونه بشكل ملحوظ .

وقال ميجريه في قسوة مقصودة :

ـ قيل لى انه أصابتك أمس نوبة كبدية شديدة .. ابتعد .

كان يبدو من شكل « الربطة » انها تضم آلة كاتبة . ونزع القوميسير الأوراق عنها واخذ من جيبه ورقة بيضاء كتب عليها بضع كلمات ثم وضعها في حافظته .

وقطع صوت الآلة الصمت الذى خيم على الغرفة لحظة ، وكانت قطع الموبيليا تغطيها أغطية من القماش كما غطيت ألواح

www.ibtesamah.com/vb

النوافذ الزجاجية بالورق مما يدل على أن صاحبة المسكن فى أجازة .

واتكأ هنرى على «طاولة» صغيرة وأطرق وقد توترت اعصابه.

وبدا ميجريه ثقيلا ، غير رحيم وهو يتابع مهمته فراح يفتح الأدراج ويبعثر محتوياتها حتى عثر أخيرا على بغيته : صورة اليونور بورسانج .

وعندما هم بالانصراف أخيرا وقد ألقى بقبعته الى الخلف وأمسك الصورة بيده نظر الى الشاب من أعلى رأسه الى أخمص قدميه وسأل :

ـ ألا تريد أن تقول لى شيئا ؟.

وابتلع هنرى ريقه وأخذ يقول :

ـ لا شىء

***

حرص ميجريه على ألا يصل الى شارع كلينيانكور حيث كان مسيو يعقوب لا يزال يباشر عمله ألا بعد ساعة .

أكان يريد دليلا أكثر من هذا ؟.. فقبل ان يبلغ مكان العجوز أبصر وجها طويلا أصفر خلف زجاج المشرب تبين فيه وجه هنرى جاليه .

وبعد لحظة قال مسيو يعقوب مؤكدا :

ـ انها هى .. ليس هناك أى شك .. ان أمرها مفروغ منه .

وغادره ميجريه من غير أن ينطق بكلمة وألقى نظرة محنقة نحو المشرب . كان فى مقدوره أن يدخل ويوقع الرعب فى قلب الشاب ويتسبب له فى أزمة كبدية جديدة بأن يلقى يده فوق كتفه فقط.

« ولكنهما مع ذلك لم يقتلاه » .

وبعد نصف ساعة دلف الى مكاتب ادارة الأمن العام وقصد الى مكتبه من غير أن يلقى بالتحية الى أحد وهناك وجد فى انتظاره رسالة من مأمور الضرائب غير المباشرة بنيفر .

www.ibtesamah.com/vb

الفصل التاسع

فرحة الزواج

«اذا شئت أن تأتى خفية الى مسكنى الكائن برقم ١٧ بشارع اكروز بنيفر فسوف أذكر لك أشياء كثيرة مثيرة تتعلق باميل جاليه»

كان ميجريه فى شارع كروز ، وكان يجلس أمامه فى «صالون» أحمر وأسود مأمور الضرائب غير المباشرة الذى استقبله هو نفسه وأدخله مسكنه وهو يأتى بحركات غريبة كما لو كان يشترك فى مؤامرة .

لقد أبعدت الخادم .. وأظنك تفهم أن هذا أفضل .. أما الذين رأوك وأنت تدخل فسوف اذكر لهم انك ابن عمى المقيم فى بوكير .

وكانت تصدر منه غمزات متتابعة يوجهها لميجريه وهو يضغط على كل كلمة من كلماته ، وكان شكله يدعو الى الضحك فبدلا من أن يطبق عينا واحدة كما هو المتبع فى مثل هذه الحالة كان يطبق عينيه فى وقت واحد وبسرعة بحيث بدت هذه الحركة كأنها لازمة عصبية تلازمه ولا يستطيع منها مهربا .

ـ أظنك كنت مهاجرا انت ايضا ؟. كلا .. ظننت ذلك .. لو انك كنت مهاجرا لفهمت قصتى اكثر .

www.ibtesamah.com/vb

وراح حاجباه ينخفضان ويرتفعان في غير انقطاع على حين أخذ صوته يكسوه الغموض شيئا فشيئا وملامحه تبدو أكثر خبثا وخوفا في الوقت نفسه وأستطرد يقول :

ـ فقد قضيت عشر سنوات في الهند الصينية في ذلك الوقت الذى لم تكن فيه لمدينة سايجون شوارع كبيرة ممهدة كشوارع باريس .. وهناك عرفت جاليه .

ثم أن طعنة الخنجر هى التى أرشدتنى الى الحقيقة .. وسوف تفهم ما أقصد بعد قليل . أراهن انك لم تهتد الى شيء . لن تجد شيئا لأنها قصة لا يمكن ان تفهمها ولا أن يفهمها الا مهاجر فقط .. ومهاجر كان شاهد عيان مثلى .

وكان ميجريه قد وضع المأمور في المكان اللائق به .. كان يعرف انه من ذلك النوع من الرجال الذين لابد من احتمالهم في صبر وجلد من غير مقاطعتهم ، وتأييدهم على ما يقولون حرصا على اكتساب الوقت .

ـ كان جاليه هذا ابن حظ حقا .. كان يعمل عند موثق للعقود شق طريقه فيما بعد وأصبح عضوا في مجلس الشيوخ .. وكان رياضيا مسعورا .. وقد وضع نصب عينيه ان يكون منا فريقا للعب كرة القدم بالقوة وعندما لم يجد فريقا آخر ننازله انتهى به الأمر عند هذا الحد . وكان يحب النساء حبا فاق حبه لكرة القدم ، والفرص في الهند الصينية كثيرة .. لقد كان شابا مرحا وقد أتى أعمالا غريبة حقا .. هل تسمح ؟..

وسار الى الباب في خطوات متلصصة وفتحه فجأة ليتأكد من أن احدا لا يقف خلفه .

ـ أرأيت !.. لقد اشتط في دعاباته ذات مرة .. وأقول في غير فخر اننى اشتركت معه في تلك الدعابة على الرغم من اننى لم أكن متحمسا لها .. فقد جاء أحد الزارعين بمائتين أو ثلثمائة من العمال من الملايو كان بينهم بعض النساء والاطفال ، ومن ضمنهم مخلوقة صغيرة كانت تبدو كأنها صبت من العنبر ، ولا يحضرنى

www.ibtesamah.com/vb

اسمها . واذكر اننى كنت قد فرغت توا من قصة للكاتب ستيفنسون عن أهالى شاطىء المحيط الهادى وعن رجل ابيض أراد ان يمتلك امرأة بيضاء فعقد حفلة زواج صورية . وتحمس صاحبنا اميل عندما ذكرت له القصة ، وفى ذلك الوقت كان اهالى الملايو لايعرفون القراءة وخاصة الفقراء الذين كانوا يساقون كالأغنام ، وبناء على ذلك ذهب جاليه الى والد الفتاة وطلب يدها منه وأهدى حماه ثيابا مضحكة وجمع موكبا أقبل الى كوخ صغير أعددناه على عجل. وقد مات الزميل الذى قام بدور القسيس ولكن اذا شئت فسوف يمكننا الاهتداء الى غيره ممن اشتركوا فى هذه الدعابة لان جاليه كان رجلا يحب الدعابة الى درجة العبادة .. لم يهمل أقل التفاصيل ليبدو الامر وكأنه زواج حقيقى . وراحت الخطب تتوالى الواحدة بعد الاخرى ، وكان عقد الزواج الذى قدم الى الفتاة يدعو الى الضحك من أول كلمة فيه حتى آخر كلمة . كان الأمر كله دعابة كبيرة خدعوا بها الأب وابنته .. الشهود والباقون .

سكت مأمور الضرائب لحظة ، كانت كافية لكى تضفى على على وجهه طابع الجد ثم اختتم حديثه قائلا :

ـ هذا هو جاليه .. وقد عاش معها كما يعيش الزوج مع زوجته ثلاثة أو أربعة شهور ثم عاد الى فرنسا .. تاركا زوجته الزائفة طبعا . كنا شبابا ، والا ما اقدمنا على مثل هذا العمل .. وبمثل هذه الصورة لأن أهالى الملايو قوم لا يرحمون . وانت لا تعرفهم أيها القوميسير .. انتظرت الفتاة عودة زوجها كثيرا .. ولا اعلم ما حدث لها فيما بعد ولكنى بعد ذلك بسنوات التقيت بها وقد شاخت فى بؤرة من بؤر الفساد فى أحياء سايجون .. وعندما قرأت اسم اميل جاليه فى جريدة نيفر .. وارجو أن تلاحظ اننى لم اره منذ خمسة وعشرين عاما .. بل لم أسمع عنه كلمة واحدة . غير ان طعنة الخنجر جعلتنى أفطن الى الحقيقة .. أفلا ترى معى ذلك وهلا أدركت الآن ؟ . هو انتقام ما فى ذلك شك ، وان اهالى الملايو ليطوفون بالأرض فى سبيل الانتقام لأنفسهم .. والطعن بالخنجر من عاداتهم . لنفرض الآن أن أخا..

www.ibtesamah.com/vb

أو ابنا للفتاة .. أكثر تمدينا من بني جنسه بدأ باستخدام المسدس ثم لم يلبث أن غلبته غريزته .

أصغى ميجريه في اكتئاب الى كل هذا الحديث وبأذن غير واعية .. كان يعرف ان لا جدوى من مقاطعة محدثه .. وان في القضايا الجنائية في العادة مئات الشهود من نوع مأمور الضرائب واذا لم يكن قد تقدم في هذه القضية أحد غيره فذلك يرجع الى أن جرائد باريس نشرت نبأ الجريمة في بضعة سطور في مكان غير ظاهر .

ـ أرأيت أيها القوميسير .. ما كان في مقدورك أن تخمن ؟.. أليس كذلك ؟.. وقد آثرت ان اطلب منك الحضور الى مسكني لأن القاتل لو عرف انني تكلمت ...

ـ ذكرت لي ان جاليه كان مغرما بلعبة كرة القدم .

ـ كان مغرما بها الى حد الجنون .. وكان ابن حظ حقا .. كان زميلا غريبا لم أر أغرب منه في حياتي .. كان جديرا بأن يقص عليك مئات القصص المضحكة طول السهرة دون أن تمل منه .

ـ ولماذا غادر الهند الصينية ؟.

ـ كان يقول ان لديه فكرة ، وانه لم يخلق ليعيش البقية الباقية من عمره بدخل يقل عن مائة الف فرنك .. كان ذلك قبل الحرب .. مائة الف فرنك من الدخل .. أرأيت هذا .. كنا نسخر منه ولكنه على الرغم من سخريتنا كان يظل محتفظا بهدوئه وجأشه كما لو كان ملكا .. وكان يكتفي بأن يقول مزمجرا :

ـ سوف ترون .. سوف ترون ! ..

أما هو فلم يحصل على مائة الفرنك طبعا ، أليس كذلك ؟ وأما انا فهي الحمى التي طردتني من آسيا .. وما زلت حتى الآن عرضة لنوباتي .. ألا تتناول شيئا أيها القوميسير ؟ . سوف أخدمك أنا نفسي لأنني أرسلت الخادم الى المدينة وسوف تقضي بها طول اليوم .

ـ لا .. لن يتناول ميجريه شيئا ثم انه لا يحتمل غمزات مأمور

www.ibtesamah.com/vb

الضرائب غير المباشرة الساذجة التى يأتى بها وهو يروى قصة ذلك المنتقم من أهالى الملايو .

وشكر محدثه وهو يبتسم ابتسامة شاحبة مؤدبة .

وبعد ساعتين كان يهبط من القطار فى محطة تراسى سانسر حيث أصبحت له عاداته . وبينما هو يقطع الطريق المؤدى الى فندق لالوار كان يغمغم قائلا :

ـ لنفرض أننا الآن فى يوم السبت ٢٥ من يونية .. وانني انا اميل جاليه .. الحر خانق وكبدى يؤلمنى .. وفى جيبى خطاب من مسيو يعقوب يهددنى فيه بأن يفضح أمرى للبوليس ويطلعه على كل شىء اذا لم أرسل اليه يوم الاثنين أوراقا مالية بعشرين ألف فرنك .. ان الملكيين لا يقدمون عشرين ألف فرنك دفعة واحدة . ومتوسط المبالغ التى يمكن أن أحصل عليها منهم تتردد بين مائتين وستمائة فرنك .. ومن النادر أن أحصل منهم على ألف فرنك .. وفى فندق لالوار اطلب غرفة تطل على الفناء . ولكن لماذا على الفناء ؟ . الانى اخشى أن اقتل ؟ . ومن هو الذى أخشى ان يقتلنى ..

كان ميجريه يسير مطرقا فى خطوات متئدة ويقوم بمجهودات كبيرة ليتقمص شخصية القتيل .

ـ هل أعرف حقا من هو مسيو يعقوب ؟ . منذ ثلاث سنوات وهو يبتز منى النقود .. منذ ثلاث سنوات وأنا أدفع .. لقد سالت بائع الجرائد بشارع كلينيانكور .. وتتبعت امراة شقراء فقدت أثرها أمام عمارة ذات بابين .. غير ممكن أن أشك فى هنرى الذى أجهل صلته بصديقته .. كما انى لا أعلم انه جمع مائة ألف فرنك وانه لابد له من خمسمائة ألف ليستطيع أن يعيش فى الجنوب .. مسيو يعقوب يبقى اذن كيانا مخيفا يهدد حياتى خلف شخصية بائع الجرائد العجوز .

واتى بحركة من يده اشبه بتلك الحركة التى تصدر من المدرس وهو يمسح بالممسحة مسألة فوق السبورة السوداء .

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

ود لو أن ينسى كل هذه الافتراضات وأن يبدأ التحقيق من جديد .

كان اميل جاليه ابن حظ .. كان فتى مرحا أرغم زملاءه على تكوين فريق للعب كرة القدم .

ومر أمام الفندق من غير أن يدخل . وطرق الباب العمومى لقصر دى سان هيلير . وكان المسيو تاردييون يقف بعتبة الفندق فنظر فى استهجان الى ميجريه الذى مر أمامه من غير أن يلقى عليه التحية .

واضطر القوميسير أن ينتظر طويلا أمام الباب .. وأخيرا أقبل خادم وسأله ميجريه على الفور ؟ .

ـ متى جئت الى القصر للعمل فيه ؟ .

ـ منذ سنة .. ولكن ألا تريد أن ترى مسيو دى سان هيلير ؟

وأطل هذا الأخير من احدى نوافذ الدور الارضى واشار الى ميجريه مرحبا وقال :

ـ رأيت .. لقد وجدنا المفتاح أخيرا .. ألا تدخل لحظة ؟ . والتحقيق ..

ـ متى عمل هذا البستانى فى خدمتك ؟.

ـ منذ ثلاث او اربع سنوات .. الا تدخل ؟

دهش صاحب القصر ازاء ذلك التغيير الذى اصاب ميجريه فقد بدت ملامحه أشد قسوة وعبست أساريره وكسيت نظرته تعبيرا هو خليط من التعب والخبث .

ـ الا تتناول شيئا ؟.

ماذا جرى للبستانى السابق ؟.

ـ اشترى بارا على بعد كيلو متر .. على طريق سان تيبو .. انه وغد جمع مبلغا من المال وهو فى خدمتى ثم استقر بحسابه .

ـ شكرا لك .

ـ أمنصرف انت ؟.

ـ سوف اعود .

قال هذا فى غير تفكير وهو مشغول البال وانصرف فى طريق سان تيبو .

www.ibtesamah.com/vb

كانت حانة البستانى السابق على مقربة من السد المقام عند القنال الجانبى لنهر اللوار . وكانت تزخر بالبحارة .

ـ سؤال واحد من فضلك .. خاص بجريمة سانسر .. اتذكر انك رأيت اميل جاليه عند مخدومك السابق قبل أن تترك خدمته ؟.

ـ هل تقصد مسيو كليمان ؟.. كنا ندعوه هكذا .. لقد رأيته طبعا .

ـ كثيرا ؟.

ـ لا أستطيع أن أجزم .. كل ستة شهور .

ـ متى بدأت زياراته الأولى ؟.

ـ منذ عشر سنوات على الأقل .. وربما خمسة عشر عاما هل لك فى كأس صغيرة .

ـ شكرا .. هل تشاجرا أحيانا ؟.

ـ أحيانا .. بل قل كثيرا .. كانا يتشاجران فى كل مرة تقريبا وقد رأيتهما يتشاجران مرارا كالسوقة .

وقال ميجريه يحدث نفسه فيما بعد وهو يسير نحو الفندق:

ـ ومع ذلك فان دى سان هيلير لم يقتله .. فلم يكن فى مقدوره ان يطلق الرصاص مرتين على مويرز اذ كان عند موثق العقود .. ولكن لماذا فتح الباب الحديدى فى ليلة الجريمة ؟.

وابصر اليونور على مقربة من الكنيسة ولكنه حول راسه ليتحاشاها . كان راغبا من التحدث اليها اكثر من أى شخص آخر .

وسمعها تجرى خلفه ورآها تلحق به بثوبها الرمادى وشعرها المصقول :

ـ معذرة ايها القوميسير .

وتحول اليها وحدق الى عينيها محنقا بطريقة جعلتها تقف مبهورة الانفاس وقال :

ـ ماذا تريدين ؟.

ـ أردت فقط أن أعرف .

ـ لاشىء .. لا أعرف شيئا على الاطلاق .

www.ibtesamah.com/vb

وابتعد من غير أن يحييها ويداه معقودتان خلف ظهره .

« لنفرض أن الغرفة التى تؤدى الى الفناء كانت شاغرة .. أكان يموت مع ذلك ؟ .

وكان هناك طفل يلعب بالكرة تعثر بين ساقيه فأخذه بين يديه ووضعه على بعد متر من غير أن ينظر اليه .

ـ لم يكن يملك عشرين الف فرنك على كل حال .. وما كان فى مقدوره أن يحصل عليها ليرسلها يوم الاثنين . ولو أنه استطاع الحصول عليها ما تسلق السور وما أطلق عليه الرصاص ، ولبقى على قيد الحياة !.

ومسح جبينه على الرغم من أن الحر كان أكثر احتمالا عنه فى الأسبوع السابق . كان يحس احساسا مقبضا بانه على قيد شعرة من الهدف وانه مع ذلك عاجز عن الوصول اليه .

فروض .. ان لديه منها الكثير .. قصة السور ، وقصة الطلقتين اللتين أطلقتا بعد ثمانية أيام على مويرز .. وقصة مسيو يعقوب والزيارات التى كان يقوم بها منذ خمسة عشر عاما الى دى سان هيلير والمفتاح الضائع الذى لم يلبث البستانى أن عثر عليه بتلك الطريقة الغريبة ، وقصة الغرفتين وطعنة الخنجر التى أتمت عمل الطلقة بعد لحظات واخيرا قصة كرة القدم ودعابة الزواج لأن حب جاليه للرياضة ودعاباته ومغامراته الغرامية هى الحقائق التى استخلصها من قصة مأمور الضرائب المعقدة .

ابن حظ .. وزير نساء !.

وسأله مسيو تارديفون :

ـ هل تتناول الطعام فى الشرفة أيها القوميسير .

وكان ميجريه قد بلغ الفندق من غير أن يشعر . واجاب :

ـ سيان .

ـ وماذا تم فى التحقيق .

ـ فلنقل أنه انتهى ؟ .

ـ ايه ؟ .. والقاتل ؟ .

ولكن ميجريه هز كتفيه واجتاز الممرات التى انتشرت فيها

www.ibtesamah.com/vb

رائحة المطبخ ودخل الغرفة التى تكدست فيها ملفاته فوق المنضدة والمدفأة والأرض .

ولم يكن أحد قد عبث بثياب القتيل التى ألقاها القوميسير فوق الأرض .

وانحنى ميجريه وانتزع الخنجر المغروز فى الأرض وراح يضرب به راحة يده وهو يسير جيئة وذهابا .

وكانت السماء تغطيها طبقة من السحب والغيوم ، والسور المواجه للنافذة كان يبدو ناصع البياض .

وكان القوميسير يسير من النافذة الى الباب ومن الباب الى النافذة ويلقى من وقت لآخر نظرة سريعة على الصور الموضوعة فوق المدفأة .

وصاح فجأة وهو يبلغ النافذة فى مرة تعد بعد الثلاثين :

ـ تعال لحظة !.

وارتجفت اوراق الشجر عبر السور ، هناك حيث خمن ميجريه وجه دى سان هيلير .

وارتد صاحب القصر الى الخلف مذعورا ولكنه لم يلبث ان قال مازحا وهو يحاول السيطرة على أعصابه .

ـ هل ينبغى أن أقفز من السور ؟.

ـ بل تعال من الباب الحديدى .. فهذا أيسر .

وكان المفتاح فوق المنضدة فالتقطه ميجريه والقاه فى شىء من الاهمال من فوق السور ثم استمر فى سيره . وسمع المفتاح يقع فى الناحية الأخرى من السور ، بين المهملات المتراكمة فى الحديقة ثم سمع صوت برميل يزحزح عن مكانه وحفيف أوراق وأغصان .

ولم يكن هناك ريب فى أن يد دى سان هيلير كانت ترتجف وهو يفتح القفل .

وعندما بلغ صاحب القصر النافذة كان قد تمالك أعصابه . وقال فى صوت مرح :

ـ من الصعب الافلات من عينيك الحادتين . ان هذه القضية تثير أهتمامى لدرجة أننى عندما رايتك تعود خطر لى أن أراقبك

www.ibtesamah.com/vb

لأعرف الكثير مثلك واثير حيرتك فى لقائنا المقبل .. هل ادخل من باب الفندق ؟.

ـ لا . بل اقفز من النافذة .

ووثب دى سان هيلير فى خفة ورشاقة وقال وهو يرددالبصر حوله :

ـ هذا غريب .. هذا الجو الذى تعيد فيه وقوع الحقائق .. وهذه الثياب !. أأنت الذى اعددتها هكذا ؟.

وكان ميجريه يحشو غليونه فى بطء وهو يدفع كل قبضة من التبغ باصبعه السبابة .

ـ هل معك عود ثقاب ؟.

ـ ان معى قداحة .. فأنا لا أستعمل أعواد الثقاب ابدا .

نظر المفتش الى المدفأة حيث تجمعت ثلاث قطع صغيرة من الخشب احضرت أطرافها المستهلكة بجوار رماد الورق وقال :

ـ طبعا .

ولم يدر دى سان هيلير المعنى المقصود من وراء هذه الكلمة .

ـ أكنت تريد أن تسألنى شيئا ؟.

ـ لا أدرى بعد .. رايتك .. وخطر لى أن رجلا ذكيا مثلك قد يستطيع أن يمدنى بأفكار جديدة .

وجلس فوق ركن من المنضدة وبسط غليونه للقداحة التى يمسك بها زميله وقال :

ـ عجبا !.. أأنت أعسر ؟.

ـ أنا ؟ لا .. هذه مجرد مصادفة .. لاأدرى كيف قدمت لك القداحة بيدى اليسرى .

ـ هل تتكرم فتغلق النافذة ؟.

ولم تفارقه عينا ميجريه .. ولاحظ القوميسير ان دى سان هيلير توقف لحظة قبل أن يدير مقبض النافذة مستخدما يده اليمنى فى مثابرة ظاهرة .

www.ibtesamah.com/vb

الفصل العاشر

الساعة

ـ افتح النافذة .
ـ ولكنك قلت لى منذ لحظة أن ..
وابتسم تيبورس دى سان هيلير كأنه يريد أن يقول :

ـ اننى رهن اشارتك على كل حال .. ومع ذلك فأنا لا افهم .
أما ميجريه فلم يبتسم . ولو أن بعضهم نظر اليه فى تلك اللحظة لطالع فى وجهه امارات الضيق والتبرم الشديد .

كان فظا فى حركاته وفى صوته وفى لهجته . وكان يسير فى خطوات ثقيلة ويرفع رأسه فى حركات أشد ثقلا ثم يعود فيطرق ويتناول شيئا من مكان ليضعه فى مكان آخر بلا سبب .

ـ بما أن هذه القضية تثير اهتمامك فانى أضمك مساعدا لى ... ولكنى انذرك بأنى لن اهادنك واننى سأعاملك تماما كما لو كنت مفتشا تابعا لى تخضع لأوامرى ... استدع صاحب الفندق .

وفتح سان هيلير الباب فى خضوع وصاح :
ـ تارديفون .. تارديفون .

وعندما أقبل صاحب الفندق كان ميجريه جالسا على حافة النافذه يحدق بالنظر الى الأرض فسأله قائلا :

www.ibtesamah.com/vb

ـ مجرد سؤال يامسيو تارديفون .. هل كان جاليه أعسر .. حاول أن تتذكر .

ـ أنا لم الحظ ذلك قط .. صحيح .. هل يصافح الأعسر غيره بيده اليسرى ؟.

ـ طبعا .

ـ اذن فهو لم يكن أعسر ، فان هذا الأمر ليجذب النظر ... ان من عادة زلائى ان يصافحونى ...

ـ اذهب واسأل العمال والموظفين فلعل بعضهم لحظ ذلك .

وقال سان هيلير وهو مازال بالخارج :

ـ هل تعلق أهمية كبرى على هذه النقطة ؟.

ولكن القوميسير لم يرد وخرج الى الممر وصاح بصاحب الفندق :

ـ وبهذه المناسبة ... اتصل بمسيو باردلهان ، مأمور الضرائب غير المباشرة بمدينة نيفر ... أظن أن لديه التليفون ...

وعاد أدراجه من غير أن ينظر الى زميله ... وألقى نظرة الى الثياب الملقاة على الأرض ثم قال :

والآن الى العمل .. لم يكن اميل جاليه أعسر .. سوف نرى اذا كانت هذه النقطة تفيدنا .. أو بالأحرى .. خذ هذا الخنجر .. هو الخنجر الذى استخدم فى الجريمة .. لا .. اعطنى اياه فأنت تستخدم يدك اليسرى مرة أخرى .

والآن لنفرض ان بعضهم هاجمنى وانه لابد لى من الدفاع عن نفسى وأننى لست أعسر .. لاحظ ذلك .. سوف أمسك مقبض الخنجر طبعا بيدى اليمنى .

ـ تعال هنا ... سأثب عليك ... ولكنك أقوى منى فتمسك بيدى .. امسك يدى هكذا .. من الواضح انك تمسك اليد التى بها الخنجر وأنك تحاول ايقافها .

ـ هذا يكفى .. انظر الى هذه الصورة ... انها صورة الجثة التى التقطها مصورو البوليس القضائى ... ماذا ترى فيها .. ان الخدوش بيد اميل جاليه اليسرى .

www.ibtesamah.com/vb

ـ ما الخبر يا تارديفون ؟
ـ ان العمال والموظفين يؤكدون كلهم ان جاليه لم يكن أعسر.
ـ شكرا .. يمكنك أن تنصرف .
ـ والآن ، أنا مصغ اليك يا مسيو دى سان هيليـر .. كيف لفسر لى هذا ؟..

ـ لم يكن جاليه أعسر . ومع ذلك فقد أمسك الخنجر بيـده اليسرى .. وثبت لدينا من التحقيق انه لم يكن بيده اليمنى أى لخدش .
ـ لست أرى غير حلّ واحد لهذه المسألة .. انظر .. اريد ان اغرز هذا النصل فى قلبى فماذا أفعل ؟.. تتبع حركاتى حركة بحركة .

ـ اننى أمسك المقبض بيدى اليسرى ... لأن تلك اليـد لن تنفعنى الا فى التمسك بالخنجر من الناحيـة الضرورية ... اذ يدى اليمنى هى الأقوى .. وأنا أستخدمها لأضغط بها على يدى اليسرى .. أرأيت .. اننى امسك قبضتى اليسرى بأصابع يدى اليمنى وأضغط بقوة لأننى مضطرب ولابد لى من أن أقاوم الألم .. بحيث أننى أصاب ببعض الخدوش .
وألقى الخنجر فوق المنضدة بحركة رشيقة ثم قال :

ـ لكى نفترض هذه الحقائق طبعا ينبغى أن نفترض أيضـا أن جاليه قتل نفسه ... ولم تكن يده من الطول بحيث يشهرمسدسا على بعد سبعة أمتار من مكانه .. اليس هذا صحيحا ؟.. ولـكن دعنا من هذا الافتراض ولنبحث عن غيره .

احتفظ سان هيلير بالابتسامة الضيقة على شفتيه ، ولـكن حدقتيه ازدادتا اتساعا واخذتا تتحركان بطريقة غير عادية حتى لا تفارقا ميجريه الذى كان يسير جيئة وذهابا فى غير انقطـاع ويأتى بخمسين حركة لاجدوى منها ليأتى بحركة ذات فائدةفيتناول الملف الوردى ويفتحه ثم يطويه تحت ملف آخر ، ويذهب فجـأة فيغير موضع أحد حذاءى القتيل . ثم قال :
ـ تعال معى .. إقفز من فوق النافـذة .. هانحن اولاء فى

www.ibtesamah.com/vb

طريق العشب ... لنتصور الآن اننا في يوم السبت مساء وان الوقت ليلا واننا نسمع صخب العيد وضوضاءه واطلاق البارود والصواريخ ، ولنتصور اننا نرى في السماء انعكاس الأضواء الصادرة من الملاهي . واذا خلع اميل جاليه « سترته » اذن وتسلق السور فليس هذا عملا سهلا لرجل مريض في مثل سنه . اتبعني يا مسيو سان ، وتقدمه حتى الباب ففتحه ثم اغلقه قائلا

ـ اعطني المفتاح .. حسنا .. هذا الباب كان مغلقا والمفتاح كان موجودا في تجويف بين حجرين منذ وقت طويل .. والبستاني الذي يعمل عندك هو الذي قال لي ذلك .. ونحن الآن داخل أملاكك .. ولا تنس أن الوقت ليل .. لاحظ اننا لا نحاول الا ان نبحث عن معنى بعض الدلائل أو بالأحرى نحاول أن نوفق بين بعض الدلائل المتناقضة . تعال من هنا من فضلك .. لنتصور ان في الحديقة شخصا تقلقه حركات اميل جاليه ، وجاليه كما نعرف رجل محتال ، والله وحده يعلم ما الذي يثقل ضميره . في هذه الناحية من السور اذن رجل مثلي ومثلك لحظ في تلك الليلة ان جاليه كان مضطرب الأعصاب . بل لعله كان يدري انه كان في موقف ميئوس منه . وصاحبنا هذا ، ويمكننا أن ندعوه « س » كما نفعل في الجبر يمشي جيئة وذهابا بمحاذاة السور ويرى فجأة اميل جاليه ، سابقا مسيو كليمان واقفا من غير « سترة » فوق السور . هل يمكن أن ترى هذا الموضع من السور وأنت في الفيللا ؟ .

ـ لا ... لا أفهم ما الذي تريد الوصول اليه .

ـ لا أريد الوصول الى شيء .. اننا نقوم بالتحري والاستقصاء فقط . وعلينا أن نغير نظرياتنا مائة مرة اذا اقتضى الأمر .. انظر .. هأنذا أغير نظريتي السابقة .. ان « س » لا يتنزه .. رأى براميل فارغة في ركن من الحديقة وبدلا من ان يثب فوق السور ليرى مايدور في الغرفة أخذ واحدا من هذه البراميل ووقف عليه . وفي هذه اللحظة ظهر اميل جاليه في الفضاء . لم يبدكل من الرجلين حراكا لأنه لو كان لديهما شيء يقال لاقترب احدهما من الآخر .. ولكي يسمع احدهما صوت الآخر على بعد عشرة أمتار لابد لهما من التحدث بصوت عال . ورجلان يلتقيان في مثل هذه

www.ibtesamah.com/vb

الظروف غير العادية ، أحدهما فوق برميل ، والآخر محتفظ بتوازنه فوق سور لا يشعران بأى ميل فى إجتذاب الاهتمام اليهما . على أن من واقف فى الظلام ... واميل جاليه لا يراه .. وهو لا يلبث أن يهبط من مكانه ويعود الى غرفته و... وهنا يغدو الأمر صعبا .. الا اذا افترضنا ان من أطلق الرصاص .

ـ ماذا تعنى ؟.

وكان ميجريه قد صعد فوق البرميل فهبط فى بطء وهو يقول:

ـ اعطنى نارا من فضلك .. حسنا .. أنت تستخدم يدك اليسرى مرة أخرى . سوف نتخذ الآن الطريق نفسه الذى اتخذه س من غير أن نهتم بمن أطلق النار .. تعال .. انه يأخذ المفتاح من موضعه .. ويفتح الباب .. ولكنه قبل ذلك ذهب الى مكان ما ليبحث عن قفاز من الكاوتشوك .. ينبغى أن تسأل طاهيتك ان كانت تستخدم قفازا فى تقشير البطاطس وان كان هذا القفاز قد اختفى .. أهى جميلة ؟.

ـ لا أرى معنى لهذا السؤال .

ودوى فى هذه اللحظة صوت رعد شديد ولكن لم تسقط نقطة واحدة من المطر .

ـ لا يهم .. الباب الحديدى مفتوح الآن .. س يقترب من النافذة ويرى الجثة .. لأن اميل جاليه مات .. فان طعنة الخنجر أعقبت على الفور الطلقة النارية والأطباء يجمعون على ذلك وآثار الدم تثبت هى الأخرى ما تقدم .. ثم أننا رأينا منذ لحظات ان طعنة الخنجر انما كانت من عمل القتيل نفسه . وكانت المدفأة لا تزال ساخنة وفيها رماد أوراق محترقة ، وبين هذا الرماد نجد بقايا أعواد ثقاب استخدمها جاليه . ومع ذلك فان س يفتش الحقيبة كما يفتش المحفظة ايضا ولا يلبث ان يعيدها الى جيب القتيل فى عناية بالغة ثم يعود أدراجه ولكنه ينسى أن يغلق الباب بالمفتاح وأن يعيد المفتاح الى مكانه . ومع ذلك فقد عثرنا على المفتاح فى طريق العشب .

ولبث ميجريه بعضا من الوقت من غير ان ينظر الى محدثه ،

www.ibtesamah.com/vb

ومع ذلك فقد لحظ التغيير الملموس الذى ظهر على سحنته المدحورة .
وقال :

ـ وليس هذا كل شيء ... اعتقد انه لم تصادفنى فى حياتى قصة معقدة وسهلة فى الوقت نفسه كهذه القصة .. فنحن نعرف طبعا ان الذى يدعو نفسه مسيو كليمان رجل محتال ... ونحن نرى الآن انه هو الذى اتلف كل المستندات والبراهين الدالة على طرق معيشته كما لو كان قد توقع حدوث امر جلل . ومن هنا نرى فناء الفندق .. ومن هنا على اليسار نرى الغرفة التى طلبها اميل جاليه بعد الظهر والتى قيل له انها ليست شاغرة. وبناء على ذلك فان موقفه بعد ظهر ذلك اليوم هو موقفه فى مساء اليوم ، كان فى حاجة الى عشرين الف فرنك بأى حال من الاحوال ليدفعها صباح يوم الاثنين والا فان اناسا يبتزون نقوده سوف يشون به الى البوليس . لنفرض جدلا انه حصل على هذه الغرفة .. لو ان هذا حدث ما كان هناك داع لاجتياز ممر العشب ولتسلق السور ، اذن فان تسلق السور لم يكن ضرورة بالنسبة له .. او اذا آثرت القول كان فى الامكان تغيير تسلق السور بشيء آخر ... شيء آخر موجود فى الفناء . ماذا نرى فى الفناء ؟.. بئرا .. لعلك تقول انه كان يريد أن يلقى بنفسه فيها ، ولكنى أرد عليك فاقول انه كان باستطاعته وهو خارج الغرفة التى يشغلها ان يجتاز الفناء وان يذهب فيلقى بنفسه فى البئر بكل بساطة .

كان يلزمه وجود البئر والغرفة فى وقت واحد . ما الخبر يا مسيو تارديفون ؟.

ـ نيفر على الخط .
ـ مأمور الضرائب ؟.
ـ هو نفسه .

ـ تعال يا مسيو دى مان هيلين ... مادمت تريد ان تساعدنى فمن العدل أن تشهد كل أطوار التحقيق .. خذ السماعة الثانية .. آلو .. هنا القوميسير ميجريه .. لا تخش شيئا .. اردت

www.ibtesamah.com/vb

فقط ان أسالك سؤالا لم يدر بخلدى وانا عندك : صديقك جاليه .. الم يكن أعسر ؟. ماذا تقول ؟. أعسر اليد والقدم .. كان يزاول لعبة كرة القدم بقدمه اليسرى .. هل أنت واثق ؟ هو ذلك .. كلا .. هذا كل شيء .. شكرا لك .. سؤال آخر : هل كان يعرف اللغة اللاتينية ؟. لماذا تضحك ؟. كان اغبى من دابة ؟. الى هذا الحد .. هذا غريب . نعم .. قل لى . هل رايت صورة القتيل؟ كلا .. انه تغير منذ سايجون طبعا .. ان الصورة الوحيدة التى املكها التقطت عنه وهو يتبع نظاما خاصا .. ولكن قد أريك فى الأيام المقبلة شخصا يشبهه .. شكرا .. أجل .

واعاد ميجريه السماعة وضحك ضحكة جوفاء ثم تنهد وقال:

ـ ارايت كيف يمكن أن يشط الحماس بنا .. كل ما قلناه حتى الآن لا يقوم الا على أساس ان صاحبنا اميل جاليه ليس أعسر .. لانه لو كان أعسر فان ذلك يدل على انه كان فى مقدوره ان يستخدم الخنجر فى مهاجمة غريمه وينبغى أن نتخذ هذا درسا لنا حتى لا نثق بتوكيدات الغير .

وقال مسيو تارديفون فى امتعاض وقد سمع قول القوميسير:

ـ لقد اعد العشاء .

ـ سوف نأتى حالا .. لنفرغ مما نحن فيه أولا ، وخاصة أننى لا أريد أن استغل صبر مسيو دى سان هيلير .. فلنعد الى الغرفة الجريمة كما يقولون ..

واذ ضمتهما الغرفة قال فجاة :

ـ انك رايت اميل جاليه على قيد الحياة . وما سوف اذكره لك الآن سوف يبعثك على الضحك . نعم يمكنك أن تضىء المصباح فمع هذه السماء الملبدة بالغيوم يخيم الظلام قبل موعده بساعة .. حسنا .. أما انا فلم اره ولكنى اقضى وقتى منذ الجريمة وانا احاول ان اتصوره حيا . ولاجل هذا ذهبت فشممت الهواء الذى كان يشمه ... واصطدمت بالناس الذين كان يعيش فى وسطهم . انظر الى هذه الصورة ... اراهنك على انك سوف تقول مثلى «مسكين» .. لاسيما اذا عرفت ان الطبيب كان يعتقد انه لن يعمر اكثر من

www.ibtesamah.com/vb

ثلاث سنوات أخرى ... فالكبد مريض والقلب متعب لا ينتظر الا أوهى الأسباب ليتوقف عن الحركة . أردت أن ارى كيف يعيش صاحبنا منذ حداثته ولكنى لم أستطع للأسف أن ارجع الا ابتداء من اللحظة التى تزوج فيها فقد احتفظ بسره لنفسه عن كل مايمت بصلة الى الفترة التى سبقت زواجه ولم يفض بها حتى الى زوجته كل ما تعرفه عنه هو أنه ولد فى نانت وانه قضى بضع سنوات فى الهند الصينية ... ولكنه لم يعد منها ولا بصورة أو بذكرى واحدة .. لم يتكلم عنها قط . هو وكيل تجارى بسيط يملك ثلاثين ألف فرنك .. فى الثلاثين من عمره .. ضيق الأفق ،أخرق، سوادوى المزاج . يلتقى بأورور بريجان .. ويضع نصب عينيه أن يتزوج بها ولكن آل بريجان لهم مطالب فالأب ، وقد ضاقت به السبل لا يجد المال الكافى « لتمويل » جريدته ولكنه كان السكرتير الخاص للمطالب بعرش فرنسا .. وهو يراسل عليه القوم من الامراء والنبلاء .. وابنته الصغرى متزوجة بسيد دباغ .. وصاحبنا اميل لا يبدو فى المظهر اللائق به بين هؤلاء القوم . واذا كانوا قد قبلوه فذلك لأنه رضى أن يساهم«برأسماله» فى جريدة «الشمس» وهم يحتملونه بقدر الامكان . فقد كانوا يرون أن من الانحطاط مصاهرة رجل عادى يبيع أدوات منزلية واخرى فضية للهدايا . وهم يحاولون ان ينفثوا فيه روح الطموح ... ولكنه يقاوم فهو يشعر بأنه لم يخلق لمثل هذا العمل العظيم ثم انه كان فى ذلك الوقت قد بدا يشكو من كبده وكان يتوق الى حياة هادئة يقضيها فى الريف مع زوجته التى يكن لها كل حب ، ولكنها هى الأخرى تدفعه بدورها ولعل اختيها وزوجيهما اجترءوا على نعتها بزوجة الرجل الخامل الذى لا طموح له وعاملوها على انها امرأة فقيرة وعتبوا عليها اقترانها به . ويموت بريجان .. وتتوقف جريدة « الشمس » عن الصدور واميل جاليه لا يزال يبيع ادواته الفضية لسكان الريف . ولكن مهما يكن فهو يجد عزاءه فى الصيد بالبوصة وفى اختراع أجهزة فى غاية الاتقان وفى فك الساعات والمنبهات . وورث ابنه عنه مرض الكبد ولكنه ورث الى جانب ذلك طموح آل بريجان . وقد قرر أميل جاليه

www.ibtesamah.com/vb

ذات يوم أن يقوم بشيء ، فهو يملك ملفات جريدة الشمس ، ولاحظ أن اناسا كثيرين يدفعون مبالغ باهظة بمجرد أن يحدثهم البعض عن قضية الملكيين . وهو يبدأ المحاولة ... ولكنه لا يطلع أحدا على ذلك ... وكان يباشر عمله الجديد في البداية الى جانب عمله كوكيل تجارى بطبيعة الحال فقد كان لا يزال خجولا وكان يباشر النصب والاحتيال على دفعات صغيرة . ولكن النصب يفلح معه أكثر مما كان يتوقع ... فبعد وقت قليل يتمكن من شراء قطعة أرض من التقسيم الجديد بسان فارجو ويبنى عليها « فيللا » وهو يتبع في أثناء ذلك نظاما دقيقا يواظب عليه كل المواظبة ... ولما كان يخشى أسرته ويخافها أكبر الخوف فقد استمر في نظرها في تمثيل شركة نيبل بنورماندیا ولكنه لم يصب مع ذلك ثروة كبيرة فان الملكيين لا يعدون بالملايين وبعضهم شديدو القسوة والبخل.. ولكنه على كل حال يعيش في بحبوحة كان في المقدور ان يقنع بها لو أن أسرته لم تعتب عليه ضيق افقه وعدم طموحه . وهو يحب زوجته كل الحب على الرغم من نقائصها .. ولعله يحب ابنه هو الآخر .

وتمر السنون وتزداد به علة الكبد ويقع فريسة لنوبات كثيرة بحيث أصبح يتوقع أن يموت في أية لحظة . وعندئذ يعقد وثيقة تأمين على الحياة بمبلغ كبير جدا ليتسنى لأهله الاحتفاظ بمستوى معيشتهم من بعده .. المعيشة نفسها .. ويرهق نفسه في سبيل ذلك ... ويضاعف زياراته لعلية القوم من النبلاء والملكيين في قصورهم .. انك تسمعني بأذن صاغية ، أليس كذلك ؟. ولكن منذ ثلاث سنوات يكتب اليه المدعو مسيو يعقوب ... والمسيو يعقوب هذا يعرف طبيعة عمله ويطالبه بالمال كل ثلاثة شهور في غير انقطاع ثمنا لصمته . ماذا يمكن أن يفعل حياله ؟ .. لقد أصبح وصمة في جبين عائلة بريجان .. هو القريب الفقير الذى يقنعون بارسال بطاقة بريدية اليه في مستهل العام ، وهم الذين شقوا طريقهم واصبحوا اناسا مرموقين يفضلون الا يلتقوا به.وفي يوم السبت٢٥ من يونية نجده هنا وفي جيبه الخطاب الأخير لمسيو يعقوب ويطالبه فيه بعشرين الف فرنك ويمهله حتى

www.ibtesamah.com/vb

يوم الاثنين المقبل . وقد قطعت منذ قليل الطريق من المحطة حتى الفندق وأنا أحاول أن أضع نفسي مكانه . ومن الواضح انه لايمكنه أن يجمع عشرين ألف قرنك في يوم واحد حتى ولو ساق الى الملكيين أقوى الحجج والبراهين . وعلى كل حال فهو لا يحاول ... بل يزورك مرتين ... وعقب زيارته الثانية معك يطلب غرفة تطل على الفناء . هل راوده الأمل في أن يحصل منك على عشرين ألف قرنك ؟ لو صح هذا فمن المسلم به انه فقد ذلك الأمل في المساء .
والآن قل لي ماذا كان يريد أن يفعل في تلك الغرفة التي لم يحصل عليها وعندئذ نعرف لماذا تسلق السور .
ورفع ميجريه عينيه نحو محدثه الذي اختلجت شفتاه وقال :
ـ هذا عظيم .. ولكن .. فيما يخصني أنا ، لا أرى ..
ـ كم كان عمرك عندما مات أبوك ؟
ـ كان اثني عشر عاما .
ـ هل كانت والدتك على قيد الحياة ؟
ـ لقد ماتت بعد ولادتي بقليل ... ولكن هل أكون فضوليا اذا انا اردت أن أعرف ماذا ..
ـ هل قام بعض الأقارب بتربيتك ؟
ـ لم يكن لي أي قريب .. فانا آخر سلالة دي سان هيلير . عندما مات أبي ترك لي ما يكفي ـ من النقود ـ دفع نفقات تعليمي في ليسيه بورج .. نفقات تعليمي وماكلي وملبسي حتى أبلغ التاسعة عشرة ... ولولا ميراث لم يكن في الحسبان من ابن خال نسي الجميع أمره ..
ـ وكان يعيش في الهند الصينية على ما أعتقد .
ـ أجل .. كان ابن خال بعيد لم يكن ينتمي حتى الى آل سان هيلير ... كان واحدا من أسرة دورانتي دي لاروش .
ـ كم كان عمرك عندما ورثت ؟
ـ كنت في الثانية والعشرين .
ـ انك من الثانية عشرة حتى الثانية والعشرين ..
ـ كنت أجد قوتي بشق النفس ... ولا أشعر بأي خجل في الاعتراف بذلك .. ولكن الوقت تقدم بنا أيها القوميسير واظن أن من الأوفق أن ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ لحظة واحدة .. لم أرك بعد ما يمكن عمله ببئر وغرفة .. هل معك مسدس ؟.. هذا لا يهم فمعى أنا مسدس .. لا ريب أن هناك دوبارة فى مكان ما .. حسنا .. تتبع حركاتى .. هأنذا أربط مقبض المسدس بطرف الدوبارة .. لنفترض ان طولها ستة أو سبعة أمتار .. ليس لهذا أهمية . اذهب وابحث لى عن حجر فى الطريق ..

مرة اخرى أسرع دى سان هيلير لتلبية الطلب ولم يلبث أن عاد بالحجر .

وقال ميجريه :

ـ بدك اليسرى مرة اخرى .. ولكن لندع ذلك .. هأنذا أربط الطرف الآخر للدوبارة بالحجر ... يمكننا أن نقوم بتطبيق هذه النظرية هنا على افتراض ان حاجز النافذة يقوم مقام حلقة البئر . اننى أترك الحجر يسقط من الناحية الأخرى ... أعنى فى البئر ، ومعى المسدس فى يدى .. ثم أطلق الرصاص على أى شىء .. على نفسى مثلا ثم أتركه .. فما الذى يحدث ؟ . ان الحجر المتدلى فى البئر سوف يهبط فى القاع جارا معه الدوبارة وفى آخرها المسدس . ويصل رجال البوليس ويجدون الجثة ولكنهم لا يجدون اثرا للسلاح ... فماذا يستنتجون ؟ .

ـ ان هناك جريمة .

ـ حسنا .

وأخرج ميجريه علبة الثقاب من جيبه وأشعل غليونه دون أن يحتاج الى قداحة زميله .

وبينما هو يلتقط ثياب جاليه فى شىء من الارتياح بعد أن فرغ من عمل استدعى منه وقتا طويلا قال بصوته العادى :

ـ والآن ... اذهب وأتنى بالمسدس .

ـ ولكن ... انك لم تتركه يسقط ... انه فى يدك .

ـ أقصد .. اذهب وأتنى بالمسدس الذى قتل اميل جاليه ..

أسرع .

وعلق « البنطلون » والصدير على المشجب بجوار « السترة » ذات الكمين غير المتناسقين .

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الحادى عشر

صفقة تجارية

واذ كان ميجريه يدير ظهره لدى سان هيلير تغيرت ملامح هذا الاخير فجأة وتبدلت سحنته فبدا على وجهه تعبير غريب كان مزيجا من القلق والحقد ومن شيء من الجراة والاعتداد بالنفس .

ـ ماذا تنتظر ؟.

وخرج اخيرا عن طريق النافذة وسار الى الباب الحديدى بممر العشب واختفى فى الحديقة بحيث ان القوميسير ارهف اذنيه وقد احس بشيء من القلق .

كان الظلام قد خيم على المكان وانعكس نور الشرفة على الشاطىء واختلط صوت السكاكين والشوك بصخب النزلاء وضجيجهم .

وتحركت بعض الاغصان من الناحية الاخرى للسور فجاة . وكان الظلام شاملا بحيث تبين ميجريه فى صعوبة قامة سان هيلير على قمة السور .

وسمع حفيف اغصان اخرى ثم صوت خافت يقول :

ـ هل لك أن تتلقفه ؟.

هز القوميسير كتفيه ولم يتحرك فاضطر دى سان هيلير ان يعود ادراجه من الطريق الذى خرج منه منذ لحظات .

وعندما دخل الغرفة كان اول ما فعله هو ان القى بالمسدس

www.ibtesamah.com/vb

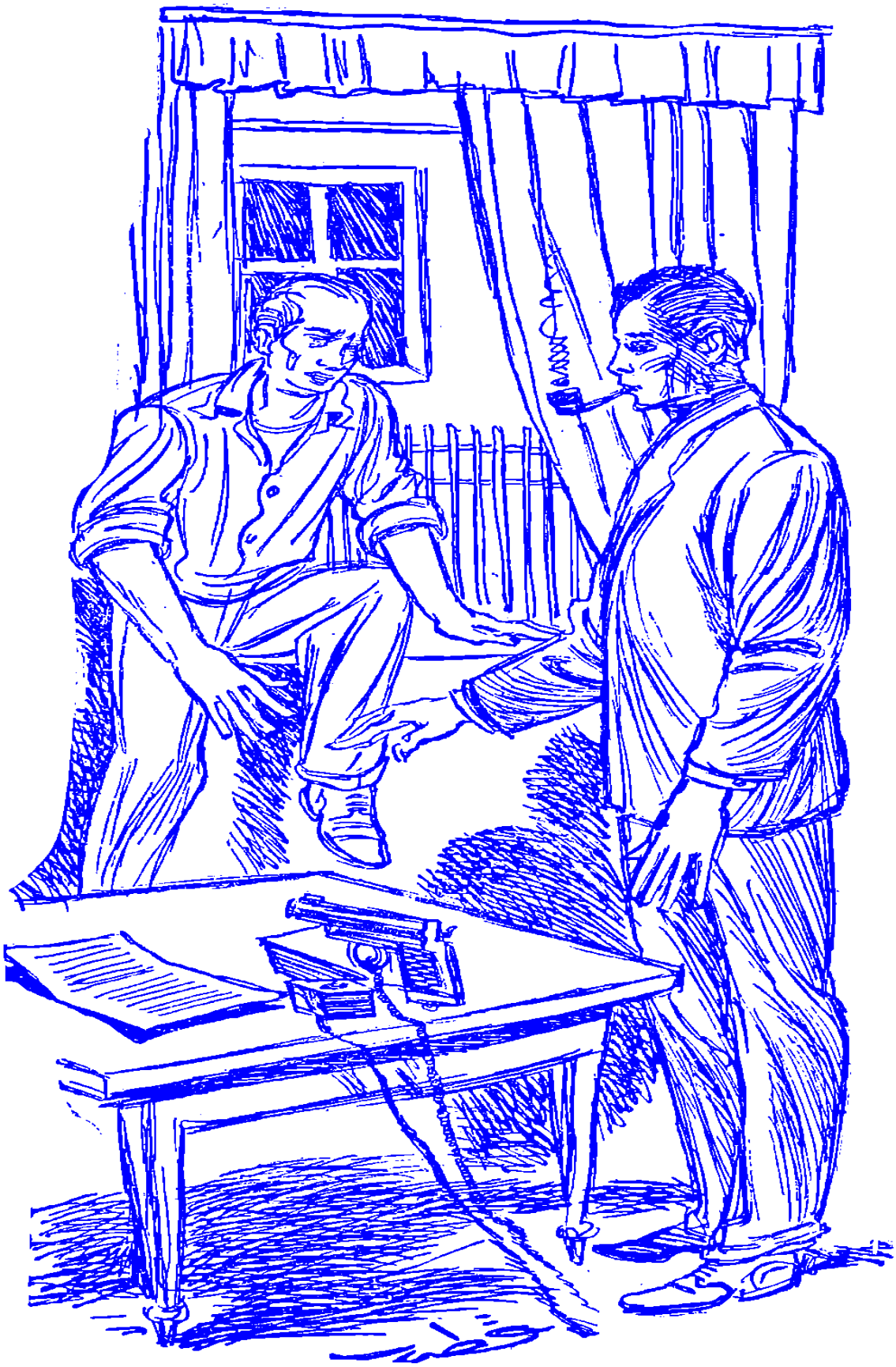

www.ibtesamah.com/vb

فوق المنضدة . كان هادىء الأعصاب منتصب القامة . ولمس ذراع ميجريه بحركة رشيقة لم تخل من ارتباك يكاد لا يلحظ وتمتم قائلا :

ـ ما رايك فى مائتى ألف فرنك ؟.

واضطر أن يسعل . كان يود أن يبدو سيداكبيرا كريماهادىء الأعصاب لا يثقل ضميره شيء ولكنه فى الوقت نفسه بدا خجولا واحتبست الكلمات فى حلقه :

ـ هيه ؟... ربما ثلثمائة الف ...

ولكن وا اسفاه !.. عندما رفع ميجريه بصره اليه فى غير انفعال وفى غير غضب وزوى بين حاجبيه الكثيفين فى تهكم وسخرية فقد سان هيلير جأشه وارتد خطوة او خطوتين الى الخلف وردد البصر حوله كالفريق يحاول ان يتعلق « بقشة » .

وبدا التغير سريعا .. فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة مبتذلة لم تمنع وجهه من الاحمرار وبرقت حدقتاه ببريق القلق.. لقد فشل فى دور السيد الكبير الكريم فحاول أن يقوم بدور آخر .. دور الرجل الفاجر الماجن الذى لا يقف فى طريقه شيء .

ـ تبا لك اذن ... على اننى كنت ساذجا .. ما الذى يمكن أن تفعله ؟.. هناك تقادم بمضى المدة .

ولكنه على الرغم من ابتسامته المبتذلة الماجنة بدا قزما امام ميجريه الذى وقف يسد عرض النافذة بقامته الطويلة وكتفيه الضخمين وكميته المنتفخين وكأنه عملاق من عمالقة العصور الوسطى .

وهتف سان هيلير فى انفعال :

ـ ثم انك تعرف اننى لم اقتل ... اليس كذلك ؟.

وقال ميجريه :

ـ اجلس !.

ـ بل أوثر ان ابقى واقفا .

ـ اجلس !.

www.ibtesamah.com/vb

واطاعه كالطفل المذعور في اللحظة التي تحول فيها ميجريه اليه .

كان زائغ البصر شاحب الوجه يحس بأنه أقل من الدور الذي اكتب عليه أن يقوم به ويحاول أن يتغلب على التيار .

وقال له ميجريه :

ـ أظن أنه ليس من الضروري أن استدعي مأمور الضرائب غير المباشرة بنيفر ليتعرف على صديقه القديم اميل جاليه !. اوه.. كان في مقدوري أن أصل الى الحقيقة من غير مساعدته .. كان الأمر يقتضي وقتا أطول فقط لا غير .. منذ مدة طويلة وأنا أحس أن هناك شيئا غير عادي في هذه القضية .. لا تحاول أن تفهم .. عندما تبدو جميع الأدلة كأنها تساهم في تعقيـــد الأمور بدلا من تبسيطها فذلك لأنها زائفة .

ـ وكل شيء في هذه القضية كان زائفا بدون استثناء ...

ـ الطلقة النارية وطعنة الخنجر .. والغرفة المطلة على الفناء والسور والخدوش على اليد اليسرى والمفتاح الضائع .

وحتى الجناة الثلاثة المحتمل اتهامهم . واميل جاليه نفســه الذي بدا زائفا سواء كان حيا او ميتـــا . وعلى فرض ان مأمور الضرائب غير المبـاشرة لم يتكلم .. فقد كنت مصرا على البحث والتنقيب في ماضي اميل جاليه الى ابعد الحدود ... ولو اقتضى مني الأمر الرجـــوع الى الليســـيه حيث كنت سأعلم الحقيقـة حتما .. والواقع انك لم تبق في ليسيه نانت مدة كبيرة .

ـ مكثت سنتين .. طردوني بعدهما .

ـ طبعا . فقد كنت تلعب بكرة القدم كما كنت تطارد الفتيات من غير شك .. أرأيت أن الحقائق كانت تتخبط بدلا من ان تجتمع وتكتمل ؟.. انظر الى هذه الصورة .. انظر اليها .. في الوقت الذي كنت تثب فيه من فوق سور الليسيه لترافق صـــويحباتك الصغيرات كان هذا المسكين يعاني من كبده . كان ســـيطول بي الوقت حتى أجمـع الأدلة .. وما كان ذلك ليمنعني من معـــرفة الضروري .. فان صاحبي الذي كان بحاجة ملحة الى عشرين الف

www.ibtesamah.com/vb

فرنك لم يكن في سانسر الا ليطلبها منك. وانت قد استقبلته مرتين .. وفي المساء كنت تراقبه من فوق السور .. كنت تشك في انه سينتحر ، أليس كذلك ؟ .. بل لعله أطلعك على نيته تلك .

ـ كلا . ولكنه بدا شديد الانفعال ... كان يتحدث بعد الظهر في صوت متهدج أثارني .

ـ ذلك لأنك رفضت أن تقدم له عشرين الف فرنك .

ـ لم يكن في مقدوري أن أفعل غير ذلك .. كان لا ينقطع ابدا عن مطالبتي بالمال .. ولو انني نزلت عنـــد طلباته التي لا تنقطع لأفلست من مدة كبيرة .

ـ علمت في سايجون ، وانت عند موثق العقود انه سيرث ؟.

ـ أجل ... أقبل رجل غريب للقاء مخدومي .. شيخ مأفون كان يعيش في « الأحراش » منذ اكثر من عشرين سنة لم يكن يرى فيها رجلا ابيض غيره الا مرة كل ثلاث سنوات .. كان فريســة للحمى والأفيون .. وقد حضرت الحديث الذي تم بينهما .

قال في هذا تقريبا : لن ألبث أن أموت بعد قليل ولست أدري اذا كان لا يزال على قيد الحياة بعض أفراد آل سان هيلير ، وان كنت أشك في ذلك لأنني عندما غادرت فرنسا كان آخر سليل لهذه الأسرة في حالة يرثى لها ولا ريب انه مات من الضعف والهزال .. اذا كان قد ترك خلفا له ، واذا اهتديت أنت الى هذا الخلف فسوف يكون وريثي الوحيد .

وقال ميجريه :

ـ وكانت تخامرك الفكرة في ان تقدو غنيـــا ذات يوم ... استمر .

ـ كان لابد على كل حال من العودة الى فرنسا بسبب النساء فقد تجاوزت الحد في الهند الصينية . وكان هناك ازواج واخــوة وآباء يحقدون علي وخطر لي ان أبحث عن آخـر سلالة سان هيلير ولم يكن ذلك العمل الهين .. واهتديت الى اثر تيبـــورس في ليسيه بورج . وقيل لي هناك انهم لا يعلمون ما حدث له وعرفت انه شاب مكتئب منطو على نفسه لم يصادقه احد قط في المدرسة .

www.ibtesamah.com/vb

فقال ميجريه فى حدة :

ـ طبعا ... فلم يكن فى جيبه مليم واحد .. كل ماكان يتمتع به هو الدراسة والمأكل حتى نهاية دراسته .

ـ كانت الفكرة التى خامرتنى حتى تلك اللحظة أن اقاسمه الميراث بأى وسيلة .. ولم اكن ادرى كيف ؟ .. ولكنى لم ألبث أن لاحظت أن الحصول على كل شىء أسهل بكثير من اقتسامه .. ومرت ثلاثة شهور قبل أن أضع يدى عليه فى مدينة الهافر حيث كان يحاول الحصول على وظيفة رئيس خدم أو مترجم على سطح احدى البواخر ولم يكن الباقى معه فى ذلك الوقت غير اثنى عشر فرنكا . وعرضت عليه كأسا من الشراب واستدرجته فى الحديث حتى عرفت عنه كل شىء ، على الرغم من أنه كان يرد على بكلمات متقطعة . كان قد عمل مدرسا فى احد القصور ومصححا فى مطبعة بمدينة روين وبائع كتب فى مكتبة . وكان يرتدى « سترة » مضحكة ويربى لحية صغيرة شقراء تدعو الى الضحك . وقامرت بكل شىء فقلت له اننى اريد الاثراء فى امريكا وان ما من شىء يساعد المرء هناك وخاصة قبل النساء كلقب نبيل . وعرضت عليه أن اشترى اسمه كان معى قليل من المال فقد كان أبى تاجر جياد فى نانت وخلف لى ثروة صغيرة بعد موته . ودفعت له ثلاثين ألف فرنك مقابل أن ادعو نفسى تيبورس دى سان هيلير .

نظر ميجريه نظرة خاطفة الى الصورة ثم الى محدثه من أعلى رأسه الى أخمص قدميه وحدق بالنظر اليه مليا بحيث انه استطرد يقول مبررا عمله :

ـ اليس هذا ما يفعله رجال الأعمال وهم يشترون سندات مالية بمائتى ألف فرنك واثقين انهم يستطيعون بيعها بأصناف ثمنها بعد شهر أو أكثر .. أما الميراث فقد انتظرته انا أربع سنوات فان الشيخ المأفون الذى يعيش فى « الأحراش » كان يأبى أن يموت .. على حين تجردت انا من مالى ورحت أتضور جوعا .. كنا فى سن واحدة تقريبا .. اكتفينا بأن تبادلنا أوراقنا .. وقد اشترطت عليه الا يضع قدمه فى نانت لئلا يراه واحد من معارفى .. أما انا فلم يكن

www.ibtesamah.com/vb

هناك ما اخشى منه .. فان تيبورس الحقيقى لم يكن له معارف أو أصدقاء ، وفى أغلب الأحيان كان لا يذكر اسمه الحقيقى الذى كان يعتبره نحسا عليه . فلم يكن من المعقول ان يشتغل تيبورس دى سان هيلير صاحب اللقب العظيم بائعا فى احدى المكتبات .

ـ وأخيرا طالعتنى الجرائد ذات يوم بنبأ صغير تذكر فيه أمر الميراث وتطلب من الوارث ـ اذا كان على قيد الحياة ـ الحضور. أفتظن اننى لم أربح المليون والنصف التى تركها لى الشيخ المأفون عن جدارة ؟ .

وكان قد استعاد جأشه وقد شجعه صمت ميجريه على ذلك ، ولو ترك نفسه على سجيتها لغمز بطرف عينه .

ـ وكان جاليه قد تزوج فى أثناء ذلك ،ولم تكن أحواله مرضية فعاد الى يعاتبنى بسحنة مقلوبه بحيث اننى ظننت لحظة انه سيقتلنى . وأعطيته عشرة آلاف فرنك أخذها فى آخر الأمر ومضى ولكنه عاد من جديد بعد ستة اشهر ..ثم أخذ يعود بعد ذلك بانتظام وكان يهددنى فى كل مرة بأنه سوف يذكر الحقيقة ، وحاولت أن اقنعه بأنه اذا تكلم فسوف يودى بنا نحن الاثنين . ثم انه كانت له اسرة .. اسرة كان يبدو انه يعمل لها ألف حساب . وشيئا فشيئا غير لهجته .. وشاخ قبل الأوان . كان يبدو مضحكا « بسترته » الغريبة ولحيته القصيرة ووجهه الشاحب وعينيه المطوقتين .. وكان يبدأ دائما بمطالبتى بخمسين ألف فرنك .. لتسوية الموقف بيننا مرة واحدة .. وكان يقسم .. ويغلظ فى الأيمان وينتهى به الأمر الى أن يعود ادراجه ومعه ورقة أو ورقتين من فئة الف فرنك ولكن لو جمعت هذه المبالغ التى أخذها منى طوال الثمانية عشر عاما ... أؤكد لك اننى لو لم اكن صلبا معه لكنت من الخاسرين. أما أنا فقد عملت بجد ونشاط فى أثناء ذلك .. فاستثمرت أموالى وزرعت الأراضى التى تمتد أمام ناظريك وملأتها كروما . وكان هو فى أثناء ذلك .. يدعى بانه يتنقل من بلد الى بلد ممثلا احدى شركات التجارة على حين كان يمارس التسول فى الواقع . وقد

www.ibtesamah.com/vb

استطاب عمله ذاك وراح يلاقى الناس تحت اسم مسيو كليمان كما تعرف . ماذا كان ينبغى أن افعل .. قل لى .

كان صوته يرتفع ويزداد تضخما من لحظة لأخرى . وبحركة غير ارادية نهض من مكانه واقفا واستطرد يقول :

ـ وفى يوم السبت الذى نحن بصدده جاءنى يطلب منى عشرين ألف فرنك على الفور .. ولو اننى كنت مستعدا لتقديمها اليه ما استطعت لأن المصرف كان مقفلا ... ثم اننى كنت قد دفعت له ما فيه الكفاية . أليس كذلك ؟ وقد صارحته بذلك ورميته بالانحطاط ... وحاول أن يؤثر على مرة أخرى بعد الظهر بصورة ذليلة ملأتنى تقززا .. فان الرجل لا ينبغى أن يذل نفسه بهذه الصورة .. فهو يقامر بحياته .. ويعرض نفسه للكسب والخسارة .. ولكنه ينبغى قبل كل شىء أن يكون على شىء من الكرامة والكبرياء .

وقاطعه ميجريه فقال فى رقة غريبة :

ـ وهل قلت له ذلك ؟ .

ـ ولم لا ... كنت ارجو أن أقومه وان أدفعه الى التملك فى أعصابه .. وقد عرضت عليه خمسمائة فرنك .

واعتمد ميجريه بمرفقه على المدفأة ونظر الى صورة الميت وهو يقول :

ـ خمسمائة فرنك .

ـ سأريك الدفتر الصغير الذى أدون فيه كل نفقاتى والذى يثبت لك أنه قد سحب منى حتى أليوم أكثر من مائتى ألف فرنك . وفى المساء كنت أسير فى الحديقة ... .

ـ ولم تكن تشعر بالارتياح ؟ ...

ـ كنت منفعلا ولا أدرى لماذا ... وسمعت صوتا آتيا من قمة السور ثم رأيته يدبر شيئا لم أتبينه فى الشجرة الواقعة أمام الفرفة ... وقد ظننت فى بادىء الأمر انه يدبر لى «مقلبا» . ولكنه لم يلبث أن اختفى كما ظهر ... وصعدت فوق برميل ... كان

www.ibtesamah.com/vb

قد عاد الى غرفته ، حيث كان يقف بجوار المنضدة ووجهه شطرى ولكن لم يكن بمقدوره أن يرانى . لم أفهم شيئا .. وأقسم لك أننى فى هذه اللحظة ملئت خوفا .. فقد انطلقت الرصاصة على بعد عشرة أمتار منى ولم يتحرك جاليه . ولكن خده الأيمن اصطبغ باللون الأحمر .. وأخذ الدم يسيل .. وظل واقفا ينظر الى النقطة نفسها كما لو كان ينتظر شيئا ..

أخذ ميجريه المسدس من فوق المدفأة . كان لا يزال مربوطا بوتر من أوتار العود من المعدن المجدول كتلك الأوتار المتينة التى تستخدم فى صيد الأسماك الكبيرة الحجم ، وقد ثبت تحت مخزن الرصاص صندوق رفيع من الصلب شد الى الزناد بسلك دقيق .

وفتح ميجريه الصندوق بظفره فكشف تركيبا ميكانيكيا كذلك التركيب الذى يوجد عند المشتغلين بالتصوير والذى يسمح لأى شخص بأن يصور نفسه . ويكفى أن يدير زنبركا لا يلبث أن يرتخى من تلقاء نفسه بعد بضع ثوان ، ولكنه كان فى هذه المناسبة تركيبا ثلاثيا ونتيجة لذلك كان لابد ان تنطلق ثلاث رصاصات .

وقال ميجريه فى صوت بطىء أجش بعض الشىء :

ـ لاريب أن الزنبرك قد أصابه عطب بعد الطلقة الأولى .

وكانت آخر كلمات سان هيلير لا تزال ترن فى اذنه :

ـ ولكن خده الأيمن اصطبغ باللون الأحمر .. وأخذ الدم يسيل وظل واقفا ينظر الى « النقطة » نفسها كما لو كان ينتظر شيئا ...

ـ كان ينتظر الرصاصتين الباقيتين طبعا ... فقد شك فى دقة الطلقات ... وكان واثقا أن سوف تصيبه رصاصة واحدة على الأقل من بين الرصاصات الثلاث . ولكن لم تنطلق الرصاصتان الباقيتان فبادر باخراج خنجره .

واستطرد دى سان هيلير يقول :

ـ كان يترنح عندما غرز السلاح فى صدره ... وقد وقع جثة هامدة على الفور ... ومات طبعا .. وكانت الفكرة الأولى التى خطرت لى أن عمله هذا كان انتقاما وأنه لابد ترك وراءه أوراقا تكشف الحقيقة ... بل لعلها تتهمنى بقتله .

www.ibtesamah.com/vb

ـ انت رجل حريص .. ورابط الجأش .. وقد ذهبت فأتيت بقفازات من الكاوتشوك من المطبخ .

ـ لم أكن أريد أن أترك بصمات أصابعى فى الغرفة ؟.. لقد جرت الى الباب الحديدى ووضعت المفتاح فى جيبى .. ولكن كانت زيارتى عديمة النفع فقد أحرق كل أوراقه ... كنت خائفا ... كانت عيناه المفتوحتان تثيرانى .. وعدت على عجل بحيث أننى نسيت أن أغلق الباب بالمفتاح .. ماذا كان فى وسعك أن تفعل لو كنت مكانى .. مادام قد مات ؟ وقد ازددت خوفا فى اليوم الذى كنت ألعب فيه بالورق مع موثق العقود ، عندما علمت أن المسدس انطلق من جديد . وأسرعت افحصه عن كثب .. لم أجرؤ على لمسه لأنه كان الدليل على براءتى لو أن الشكوك ارتقت الى ، وهو مسدس ذو ست طلقات .. وقد أدركت ان المسدس أصابه عطب عقب الطلقة الأولى وأنه أرتخى بتأثير الجو بعد ذلك بثمانية أيام . وكان فى الامكان أن تكون هناك ثلاث رصاصات أخرى .. أليس كذلك ؟ ومنذ ذلك الحين وانا اقضى وقتى فى الانصات .. ومنذ فترة على حين كنا نتحدث كنت اتحاشى الوقوف امام النافذة .

ـ ولكنك تركتنى اقف غير عابىء بما قد يحدث لى ... ثم انك أنت الذى ألقيت بالمفتاح فى طريق العشيب عندما هددتك بتفتيش القصر .

وكان بعض النزلاء قد فرغوا من تناول طعام العشاء فراحوا يمشون أمام الفندق جيئة وذهابا . وسمع ميجريه خطواتهم الرتيبة كما سمع الصخب والضوضاء من المطبخ .

وقال سان هيلير :

ـ لقد أخطأت اذ عرضت عليك مالا ...

أوشك ميجريه أن يقهقه ضاحكا ، ولو انه لم يملك نفسه لكانت ضحكته هذه مخيفة بلا شك .

كان يقف بجوار محدثه فيبدو امامه كالعملاق ، فقد كان أطول منه قامة وأضخم جسما . وكان ينظر اليه فى عطف وفى قسوة فى

www.ibtesamah.com/vb

الوقت نفسه ويهز يده كما لو كان يريد أن يمسك رأسه ويدق بها الحائط .

ومع ذلك فان تيبورس دى سان هيليير الزائف كان فى حالة يرثى لها وهو يحاول ان يبرىء نفسه وأن يستعيد ثقته .

كان يحاول أن يبدو وقحا ولكنه سرعان ما كان يرتد فى كل مرة يتظاهر فيها ميجريه بالتحرك . ولو أن القوميسير رفع يده لألقى الآخر بنفسه على الأرض .

ـ اعلم أنه اذا كانت زوجته فى حاجة الى أية مساعدة فاننى على استعداد ، فى حدود امكانياتى وخفية ..

كان يعلم أن هناك تقادما بمضى الوقت ولكنه مع ذلك لم يكن مطمئنا كل الاطمئنان . كان يود لو أن ينزل عن جزء كبير من ثروته فى سبيل كلمة طيبة من القوميسير الذى بدا كأنه يلعب معه كما يلعب القط مع الفأر .

ـ لقد قام هو بعمل اللازم فى سبيل ذلك .

ـ أجل .. قرأت ذلك فى الجرائد .. وثيقة تأمين على الحياة بثلثمائة ألف فرنك .. ألا ترى معى أن هذا غريب .

لم يستطع ميجريه ان يملك نفسه فصاح :

ـ غريب ؟ أليس كذلك ؟.. هذا الرجل الذى قضى طفولة بائسة من غير ان يمتلك مليما واحدا لمصروفه الخاص .. فأنت تعرف مدارس الليسيه .. وليسيه بورج تضم بين تلاميذها خيرة النبلاء والأشراف ... وهو نفسه صاحب لقب كبير ... لقب عتيق براق كألقابهم تماما .. ولكنه يملك الى جانب هذا اللقب اسما مضحكا يدعو الى السخرية .. تيبورس . وهو اذا كان يأكل ويحصل دروسه كغيره من التلاميذ الذين معه فهو لا يستطيع ان يشترى قطعة شيكولاته أو مصاصة او بعضا من البلى . وفى « الفسحة » يقف وحده فى ركن بمعزل عن التلاميذ ... ولعل بعض التلاميذ الفقراء أمثاله كانوا يرثون لحاله . ويترك المدرسة فى آخر الأمر ... ويبيع الكتب فى احدى المكتبات ويجر وراءه لقبه المتعب « وسترته » المضحكة وكبده المريض . ليس لديه ما

www.ibtesamah.com/vb

يرهنه ... ولكنه يملك ذلك اللقب الذى يعرض عليه بعضهم ذات يوم ان يشتريه . وهو لا يزال يرزح فى بؤسه ، وان كان قد تخلص من لقبه ... وباسم اميل جاليه يرتفع درجة فى المجتمع ... فيحيا ولكن حياة دون المتوسط ... ويأكل حتى الشبع ويرتوى حتى الثمالة .

ولكن اسرته الجديدة تعامله كما لو كان كلبا أجرب . وله الآن زوجة وابن . ولكنهما يعيبان عليه عدم قدرته على الارتفاع بمستواه وعلى كسب مزيد من المال وعلى أن يغدو مستشارا عاما ها هوذا الاسم الذى باعه بثلاثين ألف فرنك يساوى فجأة اكثر من مليون ... الشىء الوحيد الذى يملكه ... الشىء الذى كان سببا فى بؤسه وفى ازدراء الناس له ... الاسم الذى تخلص منه .

وجاليه الأصيل ... ابن الحظ ... الشاب المرح يتنازل له من وقت لآخر ، وبشق النفس عن صدقة . غريب حقا .. تماما كما تقول ... لم يفلح فى شىء ... قضى بقية حياته فى عض أنامله ندما ... لم يبسط له أحد يدا فى أى وقت من الأوقات . حتى ابنه ثار عليه ... وتنكر له بمجرد أن ساعدته جناحاه على الابتعاد تاركا أباه لحياته الرتيبة . زوجته فقط هى التى تقبلت الأمر الواقع ... لا أقول انها ساعدته ، ولا أقول انها واسته ... تقبلت الأمر الواقع فحسب لأنها أحست بأنها لن تستطيع تغييره ... رجل مسكين يتبع نظاما خاصا . ولكنه يترك لها ثلثمائة الف فرنك ... أكثر مما ملكت طول حياتها ... ثلثمائة الف فرنك كافية لكى تهرع اختاها اليها وأن يبادلها المستشار العام المجاملات والابتسامات . منذ خمس سنوات وهو يعيش عيش الكلاب ... يجر نفسه جرا ... وتتتابع عليه النوبات ... والملكيون تغيروا هم أيضا وأصبحوا لا يجودون الا بما يجودون به للمتسولين ... ولكنه يحصل منك من وقت لآخر على ورقة من فئة الف فرنك . ولكن مسيو يعقوب يستنفد منه خير ما يجمعه بهذه الوسيلة . غريب أمر جاليه ـ سان هيلير هذا لانه اذا كان يقتصد من نفقاته اليومية فهو ينفق بسخاء على وثيقة التامين ويدفع عشرين الف فرنك كل سنة . وهو يتوقع أن يتملكه اليأس فى اى وقت الا اذا

www.ibtesamah.com/vb

توقف قلبه عن الحركة فجأة . رجل مسكين بمعزل عن الناس ، دائم التنقل ، لا يشعر بالاستقرار فى أى مكان اللهم الا وهو يصطاد بالبوصة بعيدا عن اعين الناس . لقد ولد فى وقت غير مناسب وفى أسرة بائسة كانت من الحماقة بحيث جمدت بضعة آلاف من الفرنكات جمعتها بشق النفس للانفاق على تعليمه . وباع اسمه فى وقت غير مناسب . وفى وقت غير مناسب عمل مع الملكيين .. وفى وقت غير مناسب ، ماتت فيه الملكية . وتزوج فى وقت غير مناسب ... وورث ابنه طباع خالتيه وزوجيهما . والناس يموتون كل يوم مع أنهم لا يتمنون الموت لأنهم سعداء اصحاء . ولكن هو لا يموت فى الوقت المناسب ... وشركات التأمين لا تدفع اذا كان هناك انتحار وهو خبير فى فك الساعات والزنبركات ... ويعرف جيدا أن الوقت الذى لا يمكنه أن يذهب فيه بعيدا سوف يأزف قريبا . ولكن ها هوذا مسيو يعقوب يأتى فيطالبه بعشرين ألف فرنك لا يملك منها شيئا ولن يمنحه اياها أى شخص ... ومعه الزنبرك فى جيبه ، ولكن اراحة لضميره ، يذهب الى الذى ربح أكثر من مليون بدلا منه . ومع أنه ليس لديه أى أمل ... الا انه يعود اليه مرة ثانية ولكنه قبل ذلك كان قد طلب ان يستبدل بغرفته أخرى تطل على الفناء لأنه لا يثق بالتركيب الميكانيكى ، وهو يؤثر عليه طريقة أسهل هى طريقة البئر . لقد اجتاز الحياة بلازمة اليأس والنحس . وبلغ يأسه الذروة عندما علم أن الغرفة التى تطل على الفناء غير شاغرة واصبح لزاما عليه ان يتسلق السور .

ـ ولكن طلقتين لا تنطلقان ... وانت نفسك قلت ان خده الأيمن قد اصطبغ بلون أحمر واخذ الدم يسيل وانه ظل واقفا ينظر الى « النقطة » نفسها كما لو كان ينتظر شيئا ... افلم يقض حياته فى انتظار شىء .. قليل من الحظ .. ذلك الحظ الذى لم يشأ أن يبسم له ...

ـ بل ان حظه المنكود شاء له أن ينتظر ـ بلا جدوى ـ الرصاصتين اللتين لم تنطلقا ... واضطر ان يفرغ هو نفسه من عمله .

وكان ميجريه قد تكلم من غير انقطاع وعند آخر كلمة ضغط

www.ibtesamah.com/vb

على غليونه بين فكيه فى حركة عصبية فتحطم المبسم.
ونظر سان هيلير اليه بعينين زائغتين واخذ يقول والكلام يرتج عليه :

ـ هذا لا يمنع من أنه كان محتالا .

حدق ميجريه بالنظر اليه لحظة بدون ان ينطق أو ان يتحرك. ولمعت عيناه ورفع يده الضخمة . واحس بأعصاب صاحب القصر تتوتر خوفا وقلقا فترك يده معلقة فى الهواء كان لو كان قد طاب له أن يتمتع بخوف صاحبه وأخيرا ربت بهـــا على كتف الرجل وقال :

ـ انت على حق .. كان محتالا .. أما انت فهناك تقـــادم ، أليس كذلك ؟.

ـ انت تعرف القانون خيرا منى .. ومع ذلك فيخيل الى ..

ـ نعم .. نعم .. هناك تقادم .. والقانون يقول انه لا جناية هناك ولا جريمة عندما يستولى الابن بطريق الاحتيـــال على اموال أبيه ، بحيث أن هنرى جاليه مثلك لا يخشى شيئا .. انه لم يجمع حتى الآن الا مائة ألف فرنك ، ولو أضفنا اليها الخمسين ألفا التى مع صديقته لأصبح المبلغ مائة وخمسين ألفا على حين يلـــزمه خمسمائة ألف فرنك لكى يتسنى له أن يعيش فى الريف كما نصحه الأطباء بذلك . قلت ان ذلك غريب يا مسيو دى سان هيلير .. غريب حقا .. ليست هناك جريمة .. وليس هناك قاتل ولامجرم .. لا يوجد أحد لكى نلقى به فى غياهب السجون . أو بالاحرى ما كان هناك غير القتيل نفسه لو لم تواته الفكرة بأن يفلت من العدالة وأن يحتمى داخل تابوت تحت حجرة ليست بالغالية وان كانت ذات ذوق جميل مهيب فى مقبرة سان فارجو ... هـلا أعطيتنى نارا ؟.. لا تتردد الآن فى استخدام يدك اليسرى ..بل انه لم يعد هناك ما يمنعك من ممارسة رياضتك المحببة الى نفسك ومن انشاء فريق لكرة القدم فى سانسر تتولى انت رياســـته الفخرية ..

وفجأة تغيرت ملامحه كما تغير صوته وصاح به :

www.ibtesamah.com/vb

ـ اليك عنى .
ـ ولكن .. اننى ..
ـ اغرب عن وجهى .
ومرة اخرى بدا سان هيلير رخوا لا يدرى ماذا يفعل .. ومرت به لحظات قبل أن يتمكن من السيطرة على اعصابه . وبدا يقول :
ـ اظن انك تبالغ ايها القوميسير .. واذا انا ..
ـ ليس من الباب .. بل من النافذة .. انت تعرف الطريق جيدا .. أليس كذلك ؟. انتظر ... فانك نسيت مفتاحك .
ـ عندما تكون اكثر هدوءا سوف ..
ـ هو ذلك .. سوف ترسل لى صندوقا من ذلك النبيذ ذى الرغوة الذى تذوقته عندك .

لم يعرف الآخر هل ينبغى أن يبتسم أو أن يرتعد فرقا . كان يرى ميجريه بسحنته الضخمة يتقدم منه فيرتد بحركة غريزية نحو النافذة .
ـ ولكنك لم تذكر لى عنوانك .
ـ سوف ارسله اليك ببطاقة بريدية .. هوب ! انك ما تزال نشطا برغم سنك المتقدمة .

واغلق النافذة فجأة وبقى وحيدا فى الغرفة التى امتلأت بضوء المصباح الكهربى .

كان الفراش فى الغرفة كما كان تماما فى اليوم الذى نزل فيه اميل جاليه .. و « السترة » السمراء كانت لاتزال معلقة على الحائط .

واخذ ميجريه الصورة من فوق المدفأة فى عصبية ووضعها فى ظرف باسم ادارة الأمن العام وكتب عليه عنوان مدام جاليه .

وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة . واقبل بعض الباريسيين فى احدى السيارات واخذوا مجلسهم فى الشرفة وأداروا « الفونوغراف » .

كانوا يرغبون فى الرقص على حين راح مسيو تارديفون يجادلهم موزعا بين تقديره للسيارة التى اقبلوا فيها وبين مطالب

www.ibtesamah.com/vb

نزلائه الذين يريدون النوم ويطلب من نزلائه الجدد الانتقال الى احدى « الصالات » الداخلية .

واجتاز ميجريه ممرات الفندق وبلغ المشرب حيث اجتمع زارع بمدرس وراحا يلعبان البلياردو . وسار الى الخارج على حين توقف راقصان وقالت الفتاة تسأل صاحبها :

ـ ماذا يريد ؟.

ـ يقول ان نزلاءه يريدون النوم .. ويطالبنا بالا نصدر صوتا .

وطالعته من بعيد أضواء مصابيح الجسر المعلق وقد راحت أشعتها تنعكس على نهر اللوار .

ـ ألا يمكن أن نرقص ؟.

ـ فى الداخل فقط .

ـ ان هذا لرائع !.

وكان تارديفون واقفا يجادل الراقصين فى شىء من الرقة فابصر ميجريه وأسرع اليه قائلا :

ـ لقد أعددت مائدتك فى « الصالون » الصغير ايهاالقوميسيين .. هل من جديد ؟.

كان « الفونوغراف » لا يزال دائرا . وفى الدور الاول بدت امرأة بقميص النوم حدقت بالنظر الى الراقصين فى غيظ ثم تحولت الى زوجها الراقد وصاحت قائلة :

ـ الا تنزل وتسكتهما ؟.. اذا كنا لا نستطيع النوم ..

وعلى نقيضهما ، كان هناك زوجان آخران انضما الى صف الراقصين على أمل التعرف بهما بلا ريب وقضاء سهرة ممتعة معهما .

وقال ميجريه :

ـ لن أتناول العشاء ... هلا ارسلت حقائبى الى المحطة ؟.

ـ هل تنوى الرحيل بقطار الحادية عشرة والدقيقة الثانية والثلاثين ؟.

ـ أجل .

ـ ولكن ... الا تتناول شيئا؟.. هل معك بطاقة المحل على

www.ibtesamah.com/vb

الأقل ؟.

واخرج مسيو تارديفون من جيبه بطاقة باهتة يدل مظهرها على انه مضى على طبعها أكثر من اثنتى عشرة سنة ظهر على احد وجهيها صورة فندق لالوار وقد وقف أمامه بعض النزلاء وفى وسطهم مسيو تارديفون والى جوارهم بعض الموظفين والعمال وفى أيديهم أطباق الطعام .

وقال ميجريه :

ـ شكرا لك .

ودس الصورة فى أحد جيوبه وألقى نظرة أخيرة على ممر المشب .

وفى القصر الصغير أضيئت الأنوار فى احدى النوافذ وكان ميجريه مستعدا لأن يقسم أن تيبورس دى سان هيلير كان يخلع ثيابه وهو يتمتم قائلا :

ـ لقد اضطر أخيرا ان يفهم .. أولا هناك تقادم .. أدرك اننى أعرف القانون الرومانى خيرا منه .. ثم ان جاليه برغم كل ذلك لم يكن الا محتالا .. نعم .. لا يمكن أن يوجه الى احد أى لوم .

ولكن ، كان ينظر فى شىء من الوجل الى أركان الغرفة المظلمة .

ولاريب ان الأضواء قد اطفئت فى هذه اللحظة فى سان فارجو وان مدام جاليه عقصت شعرها بالدبابيس وألفت همومها عنها وتمددت بوقارها فى الفراش وراحت تتحسس المكان الخالى بجوارها ؛ ولعلها تبكى فى خفوت قبل أن يغلبها النوم .

ولكنها سوف تجد العزاء والسلوى الى جوار اختيها وزوجيهما وأحدهما مستشار عام .. وسوف يرحبون بها بينهم بكل رضا وارتياح .

شد ميجريه فى ليونة على يد مسيو تارديفون الذى راح يتابع فى شرود النزلاء الذين أصروا على تناول طعامهم وعلى الرقص فى الداخل .

و « طقطق » الجسر المعلق تحت قدميه ... وكانت مياه النهر تصطدم برمال الشاطىء فى صوت هادىء رتيب .

www.ibtesamah.com/vb

وراح يستعرض فى ذهنه وهو يمشى منظر هنرى وقد تقدم به العمر وازدادت صفرة لونه كما ازداد فمه طولا ونحولا وهو يسير برفقة اليونور وقد ازدادت قسماتها هى الأخرى قسوة على مر السنين وبدت مضحكة بصورة محسوسة .

انهما سوف يتشاجران بسبب وبغير سبب .. وخاصة بسبب خمسمائة الألف من الفرنكات . فانها سوف تكون دائما حائلا بينهما .

ـ يمكنك أن تتكلم .. ومع ذلك فقد كان أبوك ..

ـ لا تتحدثى عن أبى .. ماذا كنت أنت نفسك عندما التقيت بك ...

ـ هذا لا يمنع انك كنت تعلم أن أباك ...

* *

ورقد فى القطار وراح فى سبات عميق حتى بلغ باريس ... ورأى فى احلامه صورا مختلفة غير واضحة المعالم يدعو بعضها الى التقزز والاشمئزاز .

وعندما أراد أن يدفع ثمن القهوة التى تناولها فى بوفيه المحطة أخرج من جيبه من غير قصد بطاقة فندق لالوار .

وكانت تجلس بجواره فتاة كانت تقضم بعض الشطائر وتشرب فنجانا من الشاى . وترك البطاقة فوق « البنك » واذ بلغ البوفيه تحول فرأى الفتاة تنظر الى صورة الفندق الذى تحيط به الأشجار بطريقة حالمة . وأخذ يقول محدثا نفسه :

ـ لعلها هى التى سترقد فى الغرفة . وسوف يدعوها سان هيلير الى تناول كأس من النبيذ ذى الرغوة فى قصره .

وقالت مدام ميجريه تخاطبه عندما دخل مسكنه بشارع ريشار لينوار :

ـ انك تبدو كأنك عائد من تشييع جنازة .. هل أكلت على الأقل ؟.

فقال وهو ينظر فى ابتهاج الى المنظر المألوف ، وكأنه يحدث نفسه :

ـ لك الحق ... مادام قد دفن !.

www.ibtesamah.com/vb

وأردف يقول من غير أن تفهم :

ـ ولكنى كنت أوثر الاهتمام بقتيل حقيقى قتله قاتل حقيقى ... ايقظينى فى الساعة الحادية عشرة .. ينبغى أن اقدم تقريرى الى الرئيس .

ولم يعترف لها انه ليس فى نيته أن ينام وانما أن يسائل نفسه ماذا سيذكر فى هذا التقرير ؟ .

الحقيقة طبعا ... الحقيقة المجردة التى سوف تحرم مدام جاليه ثلثمائة الف فرنك قيمة وثيقة التأمين وتقيمها ضد ابنها وضد اليونور وضد تيبورس دى سان هيلير وتقيم ضدها اختاها وزوجاهما من جديد .

حلقة متشابكة من المنافع والأغراض والحقد والقضايا التى لا تفرغ ... بل قد يبلغ الأمر بأحد القضاة الى أن يأمر باخراج جثة أميل جاليه من قبره لتفحص من جديد .

لم يكن لدى ميجريه صورة للميت ... ولكنه لم يعد بحاجة الى تلك الصورة الذابلة .

خده الأيمن اصطبغ باللون الأحمر .. وأخذ الدم يسيل وبقى واقفا ينظر الى « النقطة » نفسها كما لو كان ينتظر شيئا .

وزمجر ميجريه وهو ينهض قبل الوقت المحدد :

وقال يخاطب رئيسه بعد قليل :

ـ هى قضية فاشلة الفاعل فيها مجهول وليس أمامنا الا حفظ التحقيق .

على حين كان يحسب فيما بينه وبين نفسه :

ـ ان الطبيب يدعى انه ما كان ليعيش أكثر من ثلاث سنوات ... لنفرض أن شركة التأمين تخسر فى هذه القضية ستين الف فرنك ... لن يهمها هذا المبلغ على أى حال و « رأسمالها » تسعون مليونا من الفرنكات !.

« تمت »

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

الدار القومية للطباعة والنشر

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يناير ٢٠١٩

www.ibtesamah.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يناير 2019 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز الإشعاع الثقافى

فى العالم العربى

من القاهرة

أسماء السلاسل

- روايات عالمية
- مذاهب وشخصيات
- كتب سياسية
- إخترنا لك
- إخترنا للطالب
- دراسات اشتراكية

- الكتاب الما
- من الشرق وال
- كتب قومي
- اخترنا للحد
- اخترنا للعامل وا
- رسائل جام

مكتبات الدار

نيويورك — لندن

الجزائر — بيروت

طرابلس — بغداد

الخرطوم — الاسكندرية

القاهرة

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb